

محمد إقبال

مختارات شعرية

كتاب الوحدة

محمد إقبال

مختارات شعرية

صاغها بالعربية شعراً :

- الشيخ صاوي شعلان المصري
- الدكتور عبدالوهاب عزّام
- الأستاذ زهير ظاظا

مقدمة: أ. د. بومدين بوزيد

محمد إقبال

مختارات شعرية

مطابقة القصائد:

ديوان محمد إقبال / الجزء الأول

دار ابن كثير

مقدمة: أ. د. بومدين بوزيد

الناشر:

وزارة الثقافة والفنون والتراث - دولة قطر

رقم الإيداع: بدار الكتب القطرية:

الترقيم الدولي (ردمك):

رسوم: إسماعيل عزام - العراق

الإخراج الفني: علاء الألفي - مجلة الدوحة

المواد المنشورة في الكتاب تُعبّر عن آراء كتابها ولا تُعبّر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

الفهرس

5 مقدمة

من ديوان «صلصلة الجرس»

18 - النشيد الإسلامي

20 - الشكوى وجواب الشكوى

من ديوان «الأسرار والرموز»

القسم الأول: أسرار إثبات الذات

28 - في بيان أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها.

30 - في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق.

32 - في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق، فُتَسَخَّر قوى العالم الظاهرة والباطنة.

35 - قصة في معنى أن مسألة نفي الذات من مخترعات الأمم المغلوبة.

39 - في حقيقة الشعر وانسلاخ الآداب الاسلامية.

43 - في بيان أن للتربية الذاتية ثلاث مراحل: «الطاعة - ضبط النفس - النيابة الإلهية».

53 - قصة الطائر الذي أجهد العيش.

55 - في بيان أن حياة المسلم في إعلاء كلمة الله.

56 - الوقت سيف.

القسم الثاني: «رموز نفي الذات»

61 - في معنى ارتباط الفرد والأمة.

- 64 من أركان الأمة الاسلامية: التوحيد
- 66 في معنى أن الخوف والحزن واليأس أمهات الخبائث.
- 68 في بيان أن الأمة لا تنتظم بغير شريعة.
- 70 في بيان أن كمال سيرة الأمة من اتباع الشرع الألهي.
- 72 خطاب إلى المرأة المسلمة.

من ديوان «جناح جبريل»

- 76 الفراشة واليراع.
- 77 المَلأ والفردوس.
- 79 الأرض لله.
- 80 الأذان.
- 82 شكوى الشيطان.
- 83 النسر والنملة.

من ديوان «والآن.. ماذا نصنع؟ يا أمم الشرق»

- 86 إلى الأمة العربية

مقدمة

من الشرق إلى الغرب بحثاً عن الشرق

أ.د. بومدين بوزيد

من أكثر الأقوال تداولاً حول فيلسوف الشرق محمد إقبال عبارة وصفية لحسن الزيات: «نبت جسمه في رياض كشمير، وانبثقت روحه من ضياء مكة، وتألف غناؤه من ألحان شيراز، لسان لدين الله في العجم يفسر القرآن بالحكمة، ويصور الإيمان بالشعر، ويدعو إلى حضارة شرقية قوامها الله والروح، وينير من حضارة غربية تقدس الإنسان والمادة».

وُلد الشاعر الفيلسوف في مدينة سيالكوت بولاية البنجاب سنة 1877، أسلم جدّه الأعلى قبل مئتي سنة، وقد غلب على أهل بيته سمة التصوّف، بداية تعلّمه في مدرسة إنجليزية، وارتبط علمياً وروحياً بأستاذه الأوّل السيد مير حسن الذي تذوّق بفضل سحر اللغة الفارسية، سافر إلى لاهور، وتحصّل على شهادة الليسانس في الفلسفة، وفي هذه المرحلة بدأ ينظم قصائده الشعرية الأولى منها «جبل هماله» ثم عُيّن أستاذاً في لاهور، ثم سافر إلى لندن سنة 1905، حيث التحق بجامعة كامبريدج، وتحصّل على الشهادة العليا في الفلسفة وعلم الاقتصاد، بقي هناك ثلاث سنوات يُلقّي المحاضرات في موضوعات إسلامية أكسبته شهرة، ثم سافر إلى ألمانيا، وتحصّل من ميونيخ على شهادة في الفلسفة أيضاً، وعاد إلى لندن وتحصّل على شهادة في الحقوق، ثم رجع إلى الهند سنة 1908.

عائش شاعرنا الفيلسوف أحداث العالم وانفجاراته وأزماته، ولاحظ الأزمة الغربية التي تنتهي إلى حروب وإذلال للشعوب الضعيفة، فترقى عنده الشعور بالذات الإنسانية وضرورة انتصارها على الشاعر، وكان الإسلام في مجده الأول الأنموذج الذي يحنّ إليه من أجل «مسلم قوي» وقد عبّر عن ذلك بصور جمالية ووجدانية في أشعاره: «خضر الطريق»، «هدية الرسول»، «الشاعر والتجوّل في الصحراء»، «جرس القافلة»، كما نشر عدّة كتب بالفارسية، وقد اعتنى الغرب والعالم الإسلامي بكتاباته الفكرية والأدبية، كما كان لرحلاته التأثير القوي على تفكيره، إذ سمحت له بنشر دعوته وأفكاره.

كانت حياته حافلةً بشوق الذات نحو السماء وأماكن الرسالات النبوية، ورنّ أجراس المحبّة والإرادة من أجل إعادة انتشار الرّوح المحمّدية في الوجود، وقد قال في آخر حياته: «أنا مسلم، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسماً» فكان موته في 21 إبريل/نيسان 1938.

من العوامل الفكرية والحضارية التي أثرت في تكوينه:

1 - النهل من تراث العائلة الصوفية، ومن الحكمة الإسلامية التي تلوّنت بتراث الهند والفرس، وهو تراث يمتدّ إلى جلال الدين الرومي والجامي.

2 - أطلّاعه على الفلسفات الغربية في شقّها النقدي للغرب المادي وأزماته، وقد استفاد من فلسفة الذاتية التي كان هنري برغسون أكبر ممثليها، كما كان لاطلاعاً على الشعر الإنجليزي والشعر الألماني تأثير على رؤيته الفنية والفكرية.

3- قراءته للقرآن الكريم بإعادة تأمل داخلي روحاني لا يقف عند اختلافات المفسّرين اللفظية أو الكلامية، ولكنه تشبّع بالجوهر، يقول

عن ذلك : «كنت تعوّدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كلّ يوم، وكان أبي يراني، فيسألني: ماذا تصنع؟ فأجيبه: أقرأ القرآن. وظلّ على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له: ما بالك - أبي - تسألني السؤال نفسه؟ فأجاب أبوه: إنما أردت أن أقول لك يا ولدي: أقرأ القرآن كأنما نزل عليك. ومنذ ذلك الوقت بدأت أتفهم القرآن، وأقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن درره ما نظمت»،

من دواوينه التي تركها:

صلصلة الجرس «بانك درا» 1924

جناح جبريل «بال جبريل» 1936

أسرار الذات «أسرار خودي» 1915

- رموز في نفي الذات «رموز بيخودي» 1918

- رسالة المشرق «بيام مشرق» 1923

ويقسّم بعض الدارسين شعره إلى مراحل:

- منذ بداية صقله للشعر إلى 1905: يمتاز فيها شعره بسعة الخيال وابتكار المعاني، وفيها روح الحبّ ونشدان الجمال والترحيب بالعشق.

- مرحلة أوروبا 1905 - 1908: مرحلة مصبوغة بروح الحبّ والجمال.

- مرحلة أخيرة إلى وفاته: وفيها حَفَّ سلطان المحبّة والجمال، وحلّ محلّه توق إلى الحكمة والكمال.

وقد وصلنا نحن - العرب - هذا الشعر في صياغة شعرية جميلة، قام

بها كل من: (عبدالوهاب عزام، وصابوي شعلان المصري، عبدالمعین الملوحي، وزهير ظاها) كما تُرجمت أعماله الفكرية، من أشهرها كتابه: «تجديد الفكر الديني».

فكر محمد إقبال وشعره يشكّان طرحاً نوعياً متجدّداً للدين، وإعادة قراءة للقرآن بروح حيوية تتلمس فيها اجتهادات السابقين، وكيف نعيد العلاقة بين الروح والعقل في أفق التجربة الرياضية الروحية.

الاجتهاد والتجديد في خطاب إقبال

تعدّ فلسفة محمد إقبال الدينية التجديدية استمراراً لجدوة الاجتهاد الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية، فهو يعيد قراءة القرآن الكريم وفق رؤية كونية إنسانية تتلمس التجربة الصوفية الروحية التي تأثر بها من خلال جلال الدين الرومي، والبسطامي، والحاتمي، كما يعيد استلهاام الأشعرية واجتهادات فخر الدين الرازي، وابن حزم، وابن خلدون، والطوسي حين يكون الحديث عن الإيمان والعلم، ولا يجد تعارضاً حين يعود لبرغسون وفلسفته الحيوية أو الفلسفة البراغماتية عند وليام جيمس بالخصوص، وما توصل إليه علم النفس الحديث، كما تبينت مقدرته في متابعة الرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية.

يسعى محمد إقبال إلى وضع المعرفة الدينية في صورة علمية من خلال إعادة قراءة القرآن الكريم وفقاً لمنهجه العملي، وبالعودة إلى التصوّف كرياضة روحية، المنهج الذي عليه اليوم أن يستلهم نتاج العقل الحديث باعتماد الرؤية النفسية بدل الاقتصار على التحليل الفيزيولوجي والمادي،

وقد جسّد إقبال هذا المسعى في مجموعة محاضرات حاول أن يعيد من خلالها بناء الفلسفة الدينية الإسلامية، وقد توزّعت المحاضرات على المواضيع التالية:

- المعرفة والرياضة الدينية.

- البرهان الفلسفي على ظهور التجربة الدينية

- الألوهية ومبدأ الصلاة

- روح الثقافة الإسلامية

- مبدأ الحركة في الإسلام

ما يميّز فلسفة محمد إقبال أنها تجمع بين الدين والعلم والشعر العالي الرفيع، فيحضر التفسير العملي النفسي للوحي مستلهماً آراء الفيلسوف هنري برغسون بالخصوص وتطورات العلم نحو اللامادي، وفتح الأفاق نحو الجوانب الروحية والمعنوية في الحياة، أما الشعر فقد استوعب المعنى الصوفي من جلال الدين الرومي ومن الحكمة الفارسية والحكمة الهندية، كما يستشهد بشعراء الرومانسية الألمانية، وهو في ذلك يشبه، في طريقة تناوله للشعر، نيتشه، وهيدغر.

الدين عنده تعبير كليّ عن الإنسان ووصوله إلى الحقيقة دفعة واحدة، وذلك لا يتعارض مع الدين والعلم في الوصول بالجزء إلى الحقيقة. وحين يعود إقبال إلى الفِرَق الإسلامية وجدل الكلاميين يلاحظ أن الفلسفة اليونانية وسّعت آفاق النظر العقلي عند مفكّري الإسلام، ولكنها غشّت على أبصارهم في فهم القرآن.

وفي معرض نقده لابن رشد، الذي كان أرسطياً، ينتصر إقبال للأشاعرة

كونهم سبقوا الفلسفة المثالية، عكس المعتزلة الذين قصروا إدراكهم للدين على أنه مجموعة من العقائد، متجاهلين أنه حقيقة حيوية، فلم يحفلوا بأساليب إدراك الحقيقة إذا كانت لا تقبل التصور، وأرجعوا الدين إلى نسق من المعاني المنطقية انتهى إلى موقف سلمي بحت، وفي هذا الصدد تشبه دعوة الغزالي ما قام به كانط في القرن الثامن عشر في كشفه قصور العقل الإنساني رداً على المذهب العقلي، الغزالي ولى وجهه شطر الرياضة الصوفية حين خاب رجاؤه في الفكر التحليلي، ومن ثم جعل للدين حقّ الوجود مستقلاً عن العلم وعن الفلسفة الميتافيزيقية، وفي معرض مقارنة إقبال بين البداهة والتفكير ينتقد تصوّر الغزالي في قوله بتناهي العقل، فالفكر هو «الكل» في حركة تكشفه عما في ثناياه، يبدو للناظر إليه من زاوية الحدوث كسلسلة من معينات محدّدة لا يمكن إدراكها إلا من طريق نسبة بعضها إلى بعض، وهذا الكل هو المقصود «باللوح المحفوظ»، واللاتناهي هنا هو وراء الشوق للمعرفة.

دافع إقبال عن الأشاعرة ولفّت الانتباه إلى نظريتهم في الجوهر الفرد، فالعالم عند الأشاعرة يتألف من أشياء اصطلاحاً على تسميتها بالجواهر، وهي أجزاء متناهية في الصغر بحيث لا تقبل التجزؤ والانقسام، وبأن خلق الله للحوادث مستمرّ غير منقطع، فكذلك عدد الجواهر لا يمكن أن يكون متناهياً، فالعالم في نموّ مستمرّ، ووجود الجوهر عرض، أي ماهية يلحقها الله به، فوجوده تجلّي الله، وباجتماع الجواهر تصبح ممتدّة، وتحدث مكاناً، ورغم وصول الأشاعرة إلى أن المكان يحدث نتيجة انتظام الجواهر فهم عجزوا عن تفسير الحركة بوصفها انتقال الجسم في جميع نقط الفراغ المتوسطة بين نقطة البدء ونقطة الانتهاء، وهذا يؤدي إلى حقيقة وجود «الخلاء»، ولكي يخرجوا من مأزق الخلاء اقترح النظام «الطفرة»؛ أي أن الجسم لا يمرّ من نقطة إلى نقطة، ولكنه يثب

«الوثب»، ومن ثمَّ يرى إقبال أنه رغم قصور نظرية الأشاعرة إلا أنها أقرب إلى روح القرآن من نظرية أرسطو التي تقول بعالم ثابت، فالجوهر متحصِّز حين نُلحِق به صفة الوجود وحين ننظر إليه باعتباره مظهرًا من مظاهر القدرة الإلهية فإنه- أساساً- يكون روحياً، وهنا، في مقارنته الغزالي بالرومي يرى أن الرومي أقرب إلى الحقيقة الإسلامية، كما أن إقبال في موضوع الزمان يعدّ نظرية الأشاعرة أول محاولة في تاريخ الفكر الإسلامي، فهو يتركّب من آنات مفردة، وهذا يؤدي إلى القول أن بين لحظة وأخرى فراغ، وله صفة التدفُّق والحركة والمرور، وهذا ما أثبتته العلم الحديث، وقد طَوَّر رؤية الأشاعرة في مسألة الزمان فخر الدين الرازي في كتابه «المباحث المشرقية».

يحاول إقبال أن يركّز في فهمه للقرآن الكريم على أنه عملي اهتمّ بالنفس الإنسانية وبحرّيتها وحركتها، وهنا- أيضاً- تقدير الواقع في القرآن، وهو يبصّرنا بحقيقة التغيُّر الدائم، فيشير من حين إلى آخر إلى أن البحث في الرياضة الدينية- بوصفها مصدراً للعلم الإلهي- أسبق في التاريخ من تناول غيرها من ضروب التجربة الإنسانية للغاية نفسها، فالتجربة الإنسانية حقيقة واقعة، والرسول أول من تناول النظر النقدي للظواهر الروحانية:

- التجربة الصوفية تخضع للتأويل لتحصيل العلم بالله، وهي تجربة مباشرة.

- هذه التجربة كئيّة لا تقبل التحليل.

- لحظة التصوُّف عند المريد لحظة اتّصال وثيق بذات أخرى فريدة سامية تفنى فيها شخصية المريد.

- مادامت هذه المعرفة مباشرة لا يمكن الإطّلاع عليها ونقلها كاملة لإنسان آخر، وذلك لأن حالات الصوفية أشبه بالشعور منها بالتعقّل، فالآيات تبين الحالة السيكولوجية للتجربة لا كُنْه محتويات التجربة «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (سورة الشورى - الآية 51). والشعور الصوفي فيه عنصر من الفكر أيضاً، كما أن الشعور والفكر مظهران لوحدة واحدة من التجربة الباطنية: أحدهما مظهرها الأزلي الخالد، والآخر مظهرها الزماني المعين.

- الحالة الصوفية باعتبار تفرّدها تظلّ مُتّصلة بالتجربة العامة على وجه ما، وحين التكلّم بلغة علم النفس نجد كل الأحوال الشعورية سواء أكانت محتوياتها دينية أم غير دينية، تنشأ من ظروف عضوية.

أجراس العودة وهلال القوّة

في قصائده الأولى يقرع محمد إقبال أجراس عودة قوافل المجد الأولى، وبعث الأمة «ديوان صلصلة الجرس»، وأمير هذا الركب المنتظر المعلوم محمد صلى الله عليه وسلّم. هنا يتذكّر محمد إقبال في «نشيدته الإسلامي»، الذي حفظه الأطفال والشباب والكهول، الأندلس، ودجلة، وأرض الحرمين، إنها الجغرافيا الإسلامية التي انتصر فيها «الهلال - الخنجر» وكان النداء بالأذان الذي هو دعوة للمحبة والانتصار، هو جرس لفظي يحمل روح العودة الدائمة إلى الله، المطلق، الخلود، في هذه الأنشودة يصير الدين الوطن.

وفي «الشكوى وجواب الشكوى» أو «حديث الروح» يقطع الزمان

طريق أمسنا عن غدنا، وبالهيئة الكبرى نعيد للزمان ترتيبيه، فمحمد النبي أعطى معنى للوجود، وحين المقارنة مع اليونان «الفلسفة» والفرس «السياسية»، فلنا القوّة:

كنا نقدّم للسيوف صدورنا لم نخش يوماً غاشماً جباراً

جوهر الحياة هو الحُبّ، وجوهر الحُبّ هو الذات

هذا الجهد الشاقّ الذي في أجراس وأناشيد محمد إقبال يدفعك إلى تسلّق مراتب الوجود، والعلاقة هنا تقوم على الحُبّ والشوق، ويمكن تعداد صفة الذات العاشقة في:

- الذاتية جوهر الكون، وأساس نظامه، وسرّ الحياة فيه.
- الذاتية تحيا من تخليق المقاصد، وتوليد الآمال، يقول: «نحن أحياء بتخليق المقاصد، ونحن منيرون من شعاع الأمل» من قصيدة «حياة الذات من تخليق المقاصد».
- وأن الذات تقوى بعشق ما تؤمّل، وسعيها إليه غير متوانية، وإقدامها عليه غير هيّابة، واقتحامها كل عقبة في سبيله»، «وهي بالمحبة أقوى، وأحيا وأضوأ»، وبالجهاد تقوى الحياة، واستخراج كل ما في فطرته- أي الإنسان- والاعتماد على النفس، والتحذير من التقليد.
- الكون بكل أشكال وجوده يتماسك بفعل روح أساسية شاملة لكلّ شيء، أو على الصحيح، ينشأ منها كلّ شيء «خودي»، أي الذات.
- الذات بحركتها تبدع الحياة، وهي في نزاع دائم مع الموت، وتنتصر عليه.

- الذات الفردية تتجزأ، وغاية الفرد البحث عن الذات المطلقة «الأنا» وهي تترقى، ولبلوغ الكمال عليها بالجهاد.

عشق الحياة

لا حياة للذات إلا بغاية المقصد، فالعين خلقت من أجل الرؤيا «المقصد»، والعقل وليد الأمل:

للحياة العلم والفن خدَم للحياة العلم والفن حشَم
جاهلاً سرّ الحياة اجتهد وامضْ ثوانٍ بخمر المقصدِ

هنا عشق الحياة، وفي ذلك ينصحنا في قصائده بالعودة إلى جلال الدين الرومي الذي كان تعبيراً عن الشوق الإلهي، وهنا يذكّرنا إقبال أننا عرايا مثل بنت حاتم الطائي التي غطاها الرسول عليه السلام حين رآها في مجموع الأسرى، فرداء نبينا هو رمزية إخفاء عوراتنا من التكالب على الدنيا ونسيان سطوتنا ومجدنا وضياع أرضنا ومقدساتنا، هنا يلبس الحاتمية الغطاء لستر العري، وفي فتح مكة يعلمنا نبينا قوة النفس حين تعفو «لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

التوحيد وتسخير العالم

الأمة المحمّدية قائمة على التوحيد، غير محدّدة بمكان أو زمان، وقانون أمة التوحيد القرآن الكريم، ومركز وطنهم الديني الحرم، ومقصد الأمة هو «حفظ التوحيد»، ومن ثمّ فالله سخر لنا العالم، ولا يكون الاستمرار إلا

بالأمومة التي بدايتها فاطمة الزهراء، وتعبّر عن ذلك سورة «الإخلاص».
ولا يكون ذلك إلا بامثال أوامر الله «قصيدة الطاعة»، فللتربية الذاتية
ثلاث مراحل: الطاعة، وضبط النفس، والنيابة الإلهية، وإذا كانت عصا
موسى أبطلت السحر، فعصا التوحيد تبطل الخوف.

ولتسخير العالم بالتوحيد يعتمد «فلسفة القوّة» كمصدر للمسلم، يقول:
«الرياضة الدينية في جوهرها حالة من حالات الشعور، لها ناحية فكرية
لا يمكن كشف محتوياتها للغير إلا في صورة حكم الأدلة الفلسفية التي
تعطينا دليل اختراع صانع وليس إلهاً، وهنا يدعو إلى الحكم القائم على
التجربة الدينية التي تطمئن إلى المقاييس العقلية كل الاطمئنان. وإن
ميادين التجربة ذات الشأن الأكبر إذا فُحصت بعين تنظر إلى الأمور نظرة
شاملة، فإنها تكشف عن إرادة مبدعة ذات نظام معقول هي الأساس
النهائي لكل تجربة.

من ديوان صلصلة الجرس

نقله إلى العربية نثراً ، ثم صاغه بالعربية شعراً
.....
الشيخ صاوي شعلان المصري

النشيد الإسلامي

عَلَّمَ الْإِسْلَامَ عَلَى الْأَيَّامِ
بِهَلَالِ النَّصْرِ يُضِيءُ لَنَا
وَأَذَانُ الْمُسْلِمِ كَانَ لَهُ
قَوْلُوا لِسَمَاءِ الْكُونِ لَقَدْ
يَا دَهْرُ لَقَدْ جَرَّبْتَ عَلَى
طُوفَانِ الْبَاطِلِ لَمْ يُغْرِقْ
يَا ظِلُّ حَدَائِقِ أَنْدَلِسِ
وَعَلَى أَغْصَانِكَ أَوْكَازُ

مِ شَعَارِ الْمَجْدِ لَمَلَّتْنَا
وَيُمَثِّلُ خَنْجَرَ سَطَوْتْنَا
فِي الْغَرْبِ صَدَى مِنْ هَمَّتْنَا
طَاوَلْنَا النَّجْمَ بِرِفْعَتْنَا
نِيرَانِ الشُّدَّةِ عَزَمْتْنَا
فِي الْخَوْفِ سَفِينَةَ قَوَّتْنَا
أَنْسَيْتَ مَغَانِي عَشْرَتْنَا
عَمَرْتَ بِطَلَائِعِ نَشَاتْنَا

يا دجلة هل سجّلت على شطّيك مآثر عزّتنا
 أمواجك تروي للدنيا وتعيدُ جواهر سيرتنا
 يا أرض النور من الحرّمين من ويا ميلاد شريعتنا
 روض الإسلام ودوحته في أرضك رّواها دمننا
 ومحمّد كان أمير الرّكب يقود الفوز لنصرتنا
 إنّ اسم محمّد الهادي رُوح الآمال لنهضتنا
 دوّت أنشودة «إقبال» جرساً يحدو فيه الزّمننا
 ليعيد قوافلنا الأولى في المجد ويبعث أمتنا

الشكوى وجواب الشكوى *

(الشكوى)

شكواي أم نجواي في هذا الدجى؟
أمسيت في الماضي أعيش كأنما
والطير صادحة على أفنانها
قد طال تشهيدي وطال نشيدها
فإلى متى صمتي كأنني زهرة
ونجوم ليلى حسدي أو عودي
قطع الزمان طريق أمسي عن غدي
تبكي الربى بأينها المتجدد
ومدامعي كالطل في الغصن الندي
خرساء لم ترزق براعة منشد؟

فيثارتني ملئت بأنات الجوى
صعدت إلى شفتي بلابل مهجتي
أنا ما تعديت القناعة والرضا
أشكو وفي فمي التراب وإنما
لا بد للمكبوت من فيضان
ليبين عنها منطقي ولساني
لكنما هي قصة الأشجان
أشكو مصاب الدين للديان

* عرفت هذه القصيدة في بلاد العرب باسم (حديث الروح)

إِلَّا لِحَمْدِ عُلَاكَ فِي الْأَكْوَانِ

يَشْكُوكَ اللَّهُمَّ قَلْبٌ لَمْ يَعِشْ

رَوْضاً وَأَزْهَاراً بغير شَمِيمِ
لا يُرْتَجَى وَرُدُّ بغير نَسِيمِ
لَيْلاً لظالمِها وللمَظْلُومِ
واخضَرَ في البُستانِ كُلِّ هَشِيمِ
فإذا الورى في نُضرةٍ وَنَعِيمِ

قد كان هذا الكونُ قبل وجودنا
والوردُ في الأكمَامِ مجهولُ الشَّذا
بل كانتِ الأيامُ قبل وجودنا
لما أطلَّ مُحَمَّدٌ زَكَتِ الرُّبى
وأذاعتِ الفِرْدوسُ مَكُونِ الشَّذا

مَنْ كان يَدْعُو الواحد القَهَّارا؟
مَنْ دُونِكَ الأَحجارَ والأشجارا
لَمْ يَبْلُغُوا مِنْ هَدِيها أَنْوارا

مَنْ كان يَهْتَفُ بِاسمِ ذاتِكَ قَبْلنا؟
عَبَدُوا تَمائيلَ الصُّخورِ وَقَدَّسُوا
عَبَدُوا الكَوَاكِبَ والنُّجومَ جَهالَةً

هَلْ أَعْلَنَ التَّوْحِيدَ دَاعٍ قَبْلَنَا
وَهَدَى الشُّعُوبَ إِلَيْكَ وَالْأَنْظَارَا؟
كُنَّا نُقَدِّمُ لِلسُّيُوفِ صُدُورَنَا
لَمْ نَحْشَ يَوْمًا غَاشِمًا جَبَّارَا

قَدْ كَانَ فِي الْيُونَانِ فَلَسَفَةٌ وَفِي الرُّومَانِ مَدْرَسَةٌ وَكَانَ الْمَلِكُ فِي سَاسَانَ (1)
لَمْ تُعْنِ عَنْهُمْ قُوَّةٌ أَوْ ثَرَوَةٌ
وَبِكُلِّ أَرْضٍ سَامِرِيٍّ مَآكِرُ
فِي الْمَالِ أَوْ فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
وَالْحِكْمَةَ الْأُولَى جَرَتْ وَثَبِيَّةٌ
يَكْفِي الْيَهُودَ مَوْؤَنَةَ الشَّيْطَانِ
نَحْنُ الَّذِينَ بِنُورٍ وَحِيكَ أَوْضَحُوا
فِي الصِّينِ أَوْ فِي الْهِنْدِ أَوْ طُورَانِ
نَهَجَ الْهُدَى وَمَعَالِمَ الْإِيمَانِ

مَنْ ذَا الَّذِي رَفَعَ السُّيُوفَ لِيَرْفَعَ اسْمَكَ فَوْقَ هَامَاتِ النُّجُومِ مَنَارَا؟
كُنَّا جِبَالًا فِي الْجِبَالِ وَرُبَّمَا
بِمَعَابِدِ الْإِفْرَنْجِ كَانَ أَذَانُنَا
سَرْنَا عَلَى مَوْجِ الْبِحَارِ بِحَارَا
قَبْلَ الْكِتَابِ يَفْتَحُ الْأَمْصَارَا

(1) يمكن أن يستقيم الوزن على حساب المعنى فيكون:
قد كان في (اليونان) و (الرومان) مدرسة، وكان الملك في ساسان

سَجَدَاتِنَا وَالْأَرْضُ تَقْدِفُ نَارًا
خَضْرَاءَ تُتَبَّتْ حَوْلَنَا الْأَزْهَارَا

لَمْ تَنْسَ إِفْرِيقِيَّةً: صَحْرَاؤُهَا
وَكَأَنَّ ظِلَّ السَّيْفِ ظِلُّ حَدِيقَةٍ

نَصَبَ الْمَنَايَا حَوْلَنَا أَسْوَارَا
صَنَعَ الْوُجُودَ وَقَدَّرَ الْأَقْدَارَا
نَرْجُو ثَوَابَكَ مَغْنَمًا وَجَوَارَا
فَنَهْدِمُهَا وَنَهْدِمُ فَوْقَهَا الْكُفْرَارَا
كُنْزًا وَصَاغَ الْحَلِيَّ وَالِدَيْنَارَا

لَمْ نَخْشَ طَاغُوتًا يَحَارِبُنَا وَلَوْ
نَدْعُو جَهَارًا لَا إِلَهَ سِوَى الَّذِي
وَرَوْوُسْنَا يَارِبِّ فَوْقَ أَكْفِنَا
كُنَّا نَرَى الْأَصْنَامَ مِنْ ذَهَبٍ
لَوْ كَانَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ لِحَازَهَا

مَنْ بِأَسِنَا عَزَمَ وَلَا إِيمَانُ!
لَمْ يَلْقَ غَيْرَ ثَبَاتِنَا الْمِيدَانُ
رِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّوْحَ وَالرَّيْحَانُ
نورًا تُضِيءُ بِصُبْحِهِ الْأَزْمَانُ
فِي الْكُونِ مَسْطُورًا بِهَا الْقُرْآنُ

كَمْ زُلْزِلَ الصَّخْرُ الْأَشْمُ فَمَا وَهَى
لَوْ أَنَّ آسَادَ الْعَرِينِ تَفَزَّعَتْ
وَكَأَنَّ نِيرَانَ الْمَدَافِعِ فِي صُدُوءِ
تَوْحِيدِكَ الْأَعْلَى جَعَلْنَا نَقْشَهُ
فَعَدَّتْ صُدُورُ الْمُؤْمِنِينَ مَصَاحِفًا

(جواب الشكوى)

وتُدركه القلوبُ بلا عناءٍ
وشقَّ أنيئته صدر الفضاءِ
جرت في لفظه لغة السماءِ
حديثاً كان علويَّ النداءِ
أهاج العالمَ الأعلى بكائي

كلامُ الرُّوح للأرواح يسري
هتفت به فطارَ بلا جناحٍ
ومعدنه تُرابيٌّ ولكن
لقد فاضت دموعُ العشقِ مني
فحلَّق في رُبا الأفلاكِ حتى

بقرب العرشِ موصولُ الدعاءِ
سرى بين الكواكب في خفاءِ
يواصل شدوه عند المساءِ
وما أحراه عندي بالوفاءِ
فأخرجني إلى حين قضائي؟
بمجدٍ لا يراه النَّائمونا؟
وضيِّعتم تراثَ الأوّلينا

تجاوزتِ النُّجومُ وقلن: صوتٌ
وجاوبت المجرة: علّ طيفاً
وقال البدر: هذا قلبُ شاكٍ
ولم يعرف سوى رضوان صوتي
ألم أك قبل في جنّات عدنٍ
أتشكو أن ترى الأقوامَ فازوا
مشوا بهدي أوائلكم وجدوا

ويسعدُ بالزُّقِيِّ الخَامِلُونَا؟
يكون حصادُهَا للزَّارِعِينَا؟
فهل بقيَ الكَلِيمُ بَطُورِ سِينَا؟

أَيُحْرَمُ عَامِلٌ وِرْدَ المَعَالِي
أليسَ من العَدَالَةِ أَنَّ أَرْضِي
تَجَلِّي التُّورِ فَوْقَ الطُّورِ بَاقٍ

يُوْحِدُكُمْ عَلَى نَهْجِ الوَثَامِ
مَنَارٌ لِلأَخْوَةِ وَالسَّلَامِ
إِلَهُ وَاحِدٌ رَبُّ الأَنَامِ
وَأَمْسَيْتُمْ حِيَارِي فِي الظَّلَامِ
بصوغِ العِقْدِ فِي حُسْنِ النِّظَامِ

أَلَمْ يُبْعَثْ لَأُمَّتِكُمْ نَبِيًّا
وَمصْحَفُكُمْ وَقَبْلَتُكُمْ جَمِيعًا
وَفَوْقَ الكُلِّ رَحْمَنٌ رَحِيمٌ
فَمَا نَارُ أَلْفَتِكُمْ تَوَلَّى
وَحَسَنَ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ رَهْنٌ

يَتَمُّ بِهِ اتِّحَادُ العَالَمِينَا
فكَيْفَ تَعِيشُ مُحْتَبِسًا دَفِينَا؟
وَلَا تَحْمَلُ غِبَارَ الخَامِلِينَا
وَصُغْ مِنْ ذَرَّةٍ جِبَالًا حَصِينَا
وَمُزْنًا يُمَطِّرُ الغَيْثَ الهَتُونَا

أَعَدُّ مِنْ مَشْرِقِ التَّوْحِيدِ نَوْرًا
وَأَنْتِ العَطْرُ فِي رَوْضِ المَعَالِي
وَأَنْتِ نَسِيمُهُ فَاحْمَلْ شِدَاهُ
وَأَرْسَلْ شَعْلَةَ الإِيمَانِ شَمْسًا
وَكُنْ فِي قَمَّةِ الطُّوفَانِ مَوْجًا

من ديوان الأسرار والرموز

نقله إلى العربية شعراً

الدكتور عبد الوهّاب عزّام

القسم الأول

أسرار إثبات الذات

في بيان أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها

إنما يُبقي الحياة المقصدُ
سِرُّ عيشٍ في طِلابٍ مَضْمُرُ
أحي في قلبك هذا الأملُ
يخفقُ القلبُ به بين الصدورِ
يهبُ التربَ جناحاً يصعدُ
إنما يحيا الفؤادُ الآملُ
فإذا عيَّ بتخليق المُنَى
جَرَسُ في ركبها ما نَقصدُ
أصله في أملٍ مستترُ
لا يحلُّ طينك قبراً مُهملاً
هو في صدركَ مرآةٌ تُتيرُ
ولموسى العقلِ خَضراً يُرشدُ
وإذا حيَّ يموتُ الباطلُ
هِيضَ سِقْطاه وأودى وَهنا

أَوْ هُوَ الْمَوْجُ الَّذِي لَا يَسْتَقِرُّ
إِنَّهُ خَيْطُ كِتَابِ الْعَمَلِ
يُطْفِئُ الشَّعْلَةَ فِقْدَانُ الْهَوَاءِ

أَمَلُ الذَّاتِ لَهَيْبٌ يَسْتَعْرِزُ
وَهَقُّ الْمَقْصُودِ حَبْلُ الْأَمَلِ
وَمَمَاتُ الْحَيِّ فِقْدَانُ الرَّجَاءِ

لَذَّةُ الرَّوْيَةِ فِينَا صُورَتْ
مِنْ مَنَى التَّغْرِيدِ حَلْقُ الْبَلْبَلِ
أَطْلَقَ النَّعْمَةَ مِنْ أَوْصَابِهِ
وَتَرَى الْإِعْجَازَ فِيهِ وَالْقُوَى
فَكَذَاكَ الْعَقْلُ مِنْهُ يُنْسَلُ

كَيْفَ فِينَا أَعْيُنٌ قَدْ ظَهَرَتْ؟
مِنْ مَنَى التَّخْطَارِ رَجُلُ الْحَجَلِ
حَيٌّ نَائِيٌّ قَدْ نَأَى عَنْ غَابِهِ
ذَلِكَ الْعَقْلُ الَّذِي الْكُونَ طَوَى
إِنَّمَا أَصْلُ الْحَيَاةِ الْأَمَلُ

(في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق)

أَقْبَلَنْ أَنْبُكَ عَنْ هَذَا الْجَوَى
حُبُّهُمْ فِي كُلِّ قَلْبٍ لَا يَحُولُ
لِلثَّرِيَا يِرْتَقِي مِنْهُ الثَّرَى
طَارَ وَجِدًا مُصْعَدًا نَحْوَ السَّمَاءِ
عِزَّةَ الْمَسْلَمِ ذَكَرِي الْمَصْطَفَى
دَارُهُ، لِلْكَعْبَةِ الْعِظْمَى حَرَمٌ
مُسْتَمَدٌّ مِنْ مَدَاهِ الْأَمْدِ
وَعَلَتْ تِيْجَانَ كَسْرَى أُمَّتِهِ
أُمَّةٌ مِنْهَا وَحُكْمًا مُشْرِقًا
فَجَبَا الْأُمَّةَ مُلْكًا خَالِدًا
عَيْنُهُ فِي الذِّكْرِ بِالذَّمْعِ تَجُودٌ

إِنَّ فِي قَلْبِكَ مَعْشُوقًا ثَوَى
عَاشِقُوهُ قَدْ شَاؤُوا كُلَّ جَمِيلٍ
عَشَقَهُ فِي الْقَلْبِ نَوْرٌ أَسْفَرَا
تُرْبُ نَجْدٍ مِنْهُ قَدْ خَفَّ وَضَاءُ
مُهْجَةُ الْمَسْلَمِ مَثْوَى الْمَصْطَفَى
مَوْجَةٌ مِنْ نَقْعِهِ الطُّورُ الْأَشْمُ
ضَاقَ عَنْ أَنْ حَوَاهِ الْأَبْدُ
آثَرْتُ سُحْقَ حَصِيرٍ عَفَّتُهُ
خَلَوَاتُ فِي حِرَاءٍ خَلَقَا
كَمْ لِيَالٍ قَدْ قَضَاهَا سَاهِدَا
سَيْفُهُ فِي الْحَرْبِ قَطَّاعُ الْحَدِيدِ

حين يدعو الحقُّ بالنَّصْرِ المُبِينِ
ومن الماضين مُلكاً بَدَّدا
عِظَمَتْ عن مثله أُمُّ السِّنِينِ
هو والعبدُ سواءً في الطعامِ

سُيْفُهُ «آمين» تمحو الظالمين
سُنْناً في كوننا قد جَدَّدا
فَتَحَ الدُّنْيَا له مفتاحُ دينِ
استوى مولىً لديه وغلّامِ

فترى التقليدَ من أسمائه
لتنال القربَ من ربِّ مُجِيبِ
وإلى الحقِّ فهاجِرٌ راضياً
واحظمنَّ اللَّاتِ والعزىً لديكِ
وابتغِ الجلوةَ في فارانه (1)
وتكنُ تفسيرَ «إني جاعلٌ»

كم يُريكِ العِشْقُ من صهبائه
أَحْكَمِ العِشْقَ بتقليدِ الحبيبِ
في حراءِ القلبِ فاقعدْ خاليا
اقوينَ بالحقِّ ثمَّ ارجعْ إليكِ
قَوَيْنَ بالعِشْقِ في سلطانهِ
تظفرنُ بالقربِ يا ذا السائلُ

(1) فاران: اسم مكة أو جبالها

في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق ،
فُتَسَخَّرُ قُوَى الْعَالَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ

أمرها في الكون طرّاً يَحْكُمُ
يُدها من قوّة الحقِّ أثرُ
في خصوماتِ الورى أقوى حَكَمُ
اسْمَعَنْ مِنِّي حديثاً عن وَلِيِّ
ذلك الصّدّاح في المِرجِ القديمِ
سالكُ سكرانُ من خمرتهِ
وأتى العاملُ في موكبهِ
حينما الذّات بعشوقٍ تُحَكِّمُ
فإذا ما أومأتْ شقَّ القمرِ
صاغراً في حكمها داراً وَجَمُ (1)
اسمُه في الهند مشهورٌ عَلِيٍّ (2)
قصّ أخباراً عن الوردِ الشميمِ:
قصّدَ الأسواقَ في بغيتهِ
معه الحرّاسُ قد حفّتْ بهِ

(1) دارا وجمشيد: من ملوك الفرس القدماء

(2) الشيخ أبو علي قلندر: من كبار صوفية الهند في القرنين السابع والثامن.

أَيُّهَا الْأَحْمَقُ أَفْسِحْ لِلْأَمِيرِ
 غَارِقاً فِي اللَّجِّ مِنْ أَفْكَارِهِ
 ضَارِباً رَأْسَ الْفَتَى فِي غَفْلَتِهِ
 وَهُوَ فِي ذَعْرِ وَحْزَنِ قَاتِلِ
 دَمْعُهُ مِنْ مَحَبَسِ الْعَيْنِ طَلِيقُ
 مِثْلِ بَرْقِ فِي ذُرَى الطُّودِ اضْطَرَمُّ
 قَالَ لِلْكَاتِبِ فِي نَارِ الْغَضَبِ:
 أَبْلِغِ السُّلْطَانَ عَنْ هَذَا الْفَقِيرِ:
 وَعَلَا رَأْسِ غَلَامِي بِالْعَصَا
 أَوْ أَهَبْ مُلْكَكَ آخِراً،
 أَرَعَدَ السُّلْطَانَ مِنْهُ ذَا الْكِتَابِ
 فَحَكَى فِي لَوْنِهِ شَمْسَ الْأَصِيلِ

صَاحَ لِلطَّرِيقِ جَنْدِيٌّ نَكِيرٌ:
 وَمَضَى الدَّرْوِيشُ فِي تَسْيَارِهِ
 فَآتَى رَبُّ الْعَصَا فِي شَرَّتِهِ
 فَتَنَحَّى عَنْ طَرِيقِ الْعَامِلِ
 وَمَضَى يَشْكُو إِلَى شَيْخِ الطَّرِيقِ
 زَمَجَرَ الشَّيْخُ يَقُولُ مِنْ ضَرَمِ
 ثُمَّ أَمَلَى الشَّيْخُ سَطْرًا مِنْ لَهَبِ
 أَمْسَكَ الْمِزْبَرَ وَاكْتَبَ ذَا النَّذِيرِ
 «عَامِلٌ عِنْدَكَ غَرٌّ قَدْ عَصَى
 اعزَلِ الْعَامِلَ، هَذَا الْفَاجِرُ،
 عَبْدٌ حَقٌّ فِيهِ لِلَّهِ احْتِسَابُ
 آدُهُ غَمٌّ وَخَوْفٌ لَا يَحْوُلُ

واستغاثَ الشيخُ للصَّفحِ الجميلِ
ذلكَ الكوكبَ وضَاءَ الضَّميرِ⁽¹⁾
مستمدَّ الغيبِ في تبيانهِ
فأهاجَ الشيخَ وجداً وأذابَ
خَشَعَتِ لِلْحَنِّ في رِقَّتِهِ
لا تُرَجِّحِ النَّفْسَ في نارِ السَّعيرِ

قيَّدَ العاملِ بالقيدِ الثَّقيلِ
ورأى خُسرو له خَيْرَ سفيرِ
ساحرَ الألبابِ في ألحانهِ
ولها خسرو بأوتارِ الربابِ
فطرةٌ كالطُّودِ في عزَّتِهِ
احذرَنَّ لا تجرحَنَّ قلبَ فقيرِ

(1) أمير خسرو دهلوي من كبار شعراء الهند في القرن الثامن الهجري

(قصة في معنى أن مسألة نفي الذات من
مخترعات الأمم المغلوبة لتضعف الأمم الغالبة
بهذه الطريقة الخفية)

قد سمعنا أن في عصرٍ قديمٍ
وفرت نسلًا بذو المرعى الخصبِ
ثم ألقى بمناهنَّ القدرُ
دهمتها الأسدُ من آجامها
آية القوة حكم قاهرُ
ضرب الليث طول النوبة
وكسا المرعى بصبغ أحمر
وانبرى كبش ذكي ذو عمر
جمع ضأن كان في مرعى يُقيم
فارغات البال من ليث وذيب
ورمى بالسهم فيهنَّ الدهرُ
ناشرات الذعر في أيامها
سرّها الظاهر فتح ظافرُ
أخذ آفاق هذي الثلة (1)
ما سوى الفرس لدى أسد الشرى
جرب الأحداث من حلو وممر

(1) طبل النوبة كان يُضرب في أوقات معينة على أبواب الملوك.

غَمَّهُ مَا قَدْ يَعَانِي سِرْبُهُ
أَمْرُهُ أَحْكَمَ فِي تَدْبِيرِهِ
بِاحْتِيَالِ الْعَقْلِ يَحْمِي نَفْسَهُ
قُوَّةَ التَّدْبِيرِ فِي دَفْعِ الضَّرَرِ
فَإِذَا مَا ثَارَ لِلثَّارِ الْجَنُونَ
قَالَ: أَمْرٌ حَارٌّ فِيهِ الْعَاقِلُ
كَيْفَ لِلضَّانِ فِعَالُ الْأَسَدِ
لَيْسَ وَعَظٌّ مِنْ بَلِيغٍ قَادِرًا
لَكِنْ اللَّيْثُ رَأَى حَمَلًا
فَادَّعَى فِي الْقَوْمِ دَعْوَى مُلْهِمٍ
قَالَ: كُلُّ الْقَوْمِ «كَذَّابٌ أَشْرٌ»
جِئْتُ لِلنَّاسِ بِشَرِّ مَحْكَمٍ
عَجَّلُوا التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ

مِنْ فِعَالِ الْأَسَدِ يَدْمَى قَلْبُهُ
وَهُوَ يَشْكُو الدَّهْرَ فِي تَقْدِيرِهِ
كُلُّ رَخْوٍ لَيْسَ يَرْجُو بِأَسْهُ
فِي زَمَانِ الضَّعْفِ أَقْوَى وَأَمْرٌ
صَارَ عَقْلُ الْعَبْدِ خَلَّاقَ الْفُتُونِ
بِحُرِّ عَمٍّ لَيْسَ فِيهِ سَاحِلٌ
سَاعِدٌ رَخْوٌ وَفَوْلَاذُ يَدٍ
أَنْ يَرُدَّ الْكَبْشُ ذَنْبًا كَاسِرًا
إِنْ سَهَا عَنْ نَفْسِهِ أَوْ غَفَلًا
مَرَسَلٍ لِلْأَسَدِ شُرَابِ الدَّمِ
غَافِلٌ عَنْ يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ
إِنِّي النُّورُ لَطَرْفٍ مُظْلِمٍ
وَاتْرَكُوا الْحُرَّ إِلَى الْفِعْلِ الرِّبِيحِ

وَيَحْ جَلِدٌ أَحْكَمَتْ فِيهِ قُوَاهُ
 عَلَفُ الْعُشْبِ بِهِ الرُّوحُ تَطِيبُ
 حِدَّةُ الْأَسْنَانِ عَارٌ مُبْرَمٌ
 إِنَّمَا الْقُوَّةُ خَسْرَانٌ مُبِينٌ
 طَلَبُ السُّلْطَانِ شَرٌّ مُسْتَطِيرٌ
 تَأْمِنُ الْحَبَّةُ بَرَقًا مُحْرِقًا
 ذَرَّةٌ كُنْ لَا كَيْبًا أَفِيحًا
 قُلْ لِمَنْ يُزْهَى بِذَبْحِ الْغَنَمِ:
 يَقْطَعُ السُّبُلَ عَلَى هَذِي الْحَيَاةِ
 يُوْطَأُ الْعُشْبُ فَيَنْمُو صُعْدًا
 أَغْفَلَنْ نَفْسَكَ إِمَّا تَعْقَلِ
 اسْدُدْنَ عَيْنًا وَأُذْنًا وَفَمَا
 هَذِهِ الدُّنْيَا فَنَاءً فِي فَنَاءِ

«نَفِي ذَاتٍ» هُوَ إِحْكَامُ الْحَيَاةِ (1)
 عَائِفُ اللَّحْمِ إِلَى اللَّهِ قَرِيبٌ
 بَصَرُ الْإِدْرَاكِ مِنْهَا يُظْلَمُ
 خُصَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ
 خَيْرُ الْفَاقَةِ مِنْ عِزِّ الْأَمِيرِ
 وَتَرَى الْبِيدَرَ مِنْهُ مُحْرِقًا
 لَتَنَالَ النُّورَ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى
 اذْبَحِ النَّفْسَ بِحَقِّ تَغْنَمِ
 قُوَّةٌ فِيهَا وَسُلْطَانٌ وَجَاهٌ
 يَفْتَحُ الْأَعْيْنَ مِنْ بَعْدِ الرَّدَى
 إِنَّمَا الْمَجْنُونُ مَنْ لَمْ يُغْفَلِ
 لِيَجُوزَ الْفِكْرَ أَقْطَارَ السَّمَاءِ
 إِنَّهَا وَهْمٌ فَمَا فِيهَا رَجَاءٌ

(1) مذهب محمد إقبال قائم على أن الخير في إثبات الذات والشر في نفيها.

كانتِ الأَسَدُ جهاداً مَلَّتِ
عن هوى أصغَتْ إلى النُّصْحِ المُنِيمِ
كان فرسُ الضَّانِ من سُنتِّها
جوهرُ الآسَادِ أضْحَى خَزَفَا
ذهبَ العُشْبُ بنابٍ ذي أَشْرٍ
ذلكَ القلبُ عن الصِّدْرِ نأى
فدوى في القلبِ شوقُ العَمَلِ
ذهب الإقْدَامُ والعِزْمُ الأَلِيلُ
بُرْشَنُ الفِوْلاذِ فيها قد وَهَنُ
ونما الخوفُ بنقصِ المِنَّةِ
كلُّ داءٍ في سقوطِ الهِمَمِ
نامتِ الأُسْدُ بسحرِ الغنمِ

نازعاتٍ نحو عيشِ الدَّعَةِ
فَدَهاها الكَبْشُ بالسِّحْرِ العَظِيمِ
فاقتدتُ بالضَّانِ في شِرْعَتِها
حين صار القوتُ هذا العَلْفَا
أطفأَ الأَعينَ ترمي بالسَّرَرِ
جوهرُ المِراةِ فيها صَدِئا
وهيأُ السَّعْيِ خَلْفَ الأَمَلِ
والسَّنا والعِزُّ والمجدُ الأَثيلُ
واستكانَ القلبُ في قَبْرِ البَدَنِ
قَطَعَ الخوفُ جذورَ الهِمَّةِ
يجعلُ الأحياءَ مثلَ الرِّمَمِ
سَمَّتِ العِجْزَ ارتقاءَ الأُممِ

في حقيقة الشَّعْرِ وانسلاخ الآداب الإسلامية

كيف يُشجِّي الحيِّ هذا المزهرُ؟
هو في بيدائنا نَعَمَ الدَّلِيلُ
تجدُ الآمالَ منه تطلعُ
وأدام الحسنُ نورَ الأملِ

أملُ الإنسانِ أنَّى يظهرُ
كلُّ خيرٍ وبهيجٍ وجميلُ
حُسْنُهُ في القلبِ نورٌ يسطعُ
خَلَقَ الحسنُ نضيرَ الأملِ

طُورُهُ صَبْحُ الجمالِ الباهرِ
زادتِ الفطرةَ حبًّا صنْعَتُهُ
ضَاءَ خَدِّ الوَرْدِ من تلوينهِ
قِصصُ العِشاقِ منه زاهيهِ
ألفُ كونٍ محدثٍ فيه استترُ
وَعِغَاهُ وَبُكْيٌ لم يُسمِعِ!

مطلعُ الحسنِ ضميرُ الشَّاعرِ
زادتِ الحسنَ جمالاً نظرَتُهُ
غَرَّدَ البلبُلُ من تلحينهِ
ناره كلِّ فراشٍ كاويهِ
مُضْمَرٌ في خَلْفِهِ بحرٌ و بَرٌّ
كم شقيقٍ في الحِشا لم يطلعِ

يُبدع الحسن، وفي القبح عيُّ
تُزهَرُ الأكوَانُ من ماء بُكاه⁽¹⁾
ضلَّ سارينا طريقَ المنزلِ
وعَلتْ في ركبنا نغمتهُ
ويُتَمُّ الدَّورَ في قوسِ الحياةِ
وشدا الحادي بصوتِ مؤنسِ
مد سرت في روضنا نسمتهُ
حرَّة لَوامةٌ لا تصبرُ
نازه كالريحِ تسري في الورى

فكره للبدر والنجم نجِيُّ
خَضِرٌ في ليله ماء الحياةِ
نحن أغراؤُ بطاء الأرجلِ
لُطفتُ في سيرنا حيلتهُ
يحفزُ الرُّكبَ لفردوسِ الحياةِ
فمضى الركبانُ إثر الجرسِ
وسرت في زهرنا نفحتهُ
نفسٌ منه حياةٌ تزهَرُ
يأدبُ الناسَ جميعاً للقرى

صدَّ عن وردِ حياةٍ شاعرهُ
في الجسومِ السُّمِّ من جرعاته
ويُعافُ الشَّدو منه البلبُلُ

ويلُ قومٍ لهلاكٍ طائرهُ
كلُّ حُسنٍ شاهٍ في مراته
تُذبلُ الأزهارَ منه القُبُلُ

(1) إشارة إلى قصة الخضر واهتدائه إلى ماء الحياة في أرض الظلمات.

ويموتُ الحيُّ من تلحينه
ويردُّ الصقرَ مثلَ الحجلِ
كبناتِ البحرِ تفتادُ العويَّ
ولقاعِ البحرِ تهوي بالسَّفينِ
ويرى الموتَ حياةً فُتُهُ
ويُري الحسنَ قبيحَ الصُّورِ
تشتهيه أو تطيقُ العملا
كأسُهُ فينا تزيدُ المملا

تهنُّ الأعصابُ من أفيونه
يسلبُ السَّروَ جميلَ الميَلِ
هو حوتٌ نصفه كالآدميِّ
يسحرُ الرِّبَّانَ منها باللُّحونِ
يسلبُ القلبَ ثباتاً لحنُّه
يلبسُ النَّفَعِ لباسَ الضَّررِ
في بحارِ الفكرِ يُلقيكَ فلا
شعرُهُ فينا يزيدُ الكملا

فاجعلنُ معياره نارَ الحياة
مثلَ برقٍ قادَ رعداً جَلَجَلا
ارجعنُ يا صاحِ شطرَ العربِ
لترى صبحَ الحجازِ ائتلقا
في ربيعِ الهندِ سرَّحتَ البصرُ

صيرفيَّ القولِ: إن تبغِ النَّجاةَ
نيرُ الفكرِ يقودُ العملا
من بفكرٍ صالحٍ في الأدبِ؟
وسليمي العربِ يا صاحِ اعشقا
في رياضِ العجمِ قطَّفتَ الزهرُ

من حَرورِ البِيدِ فاشربْ يارفيقُ
أَسْلِمَنْ رَأْسَكَ يَوْمًا صَدْرَهَا
قد لبستَ الخَزَّ طَوَلَ الزَمَنِ
كم وطئتَ الوردَ في طولِ المدى
فعلى رملِ الصَّحارى المَضْرَمِ
فيمَ هذا النوحُ مثلَ البلبِلِ؟
قد علا جُدُّهُمَا من صيدِكا
ابنِ عُشًّا حيثَ لا تَرَقى الأنوقُ
لترى أهلاً لأعصارِ الحياهِ

واشربَنْ من تمرِها الراخِ العتيقُ
وأَلقِيَنْ في حَرِّها صرصرَهَا
فَأَلَفِ الكِرْبَاسَ يَوْمًا واخشَنِ
غاسلاً، كالوردِ، خَدًّا بالنَّدى
أَقْدَمَنْ يَوْمًا وِغْصَ في زَمَمِ
وإلامِ العُشِّ بينَ الظَّلَلِ؟
اجعلَنْ في الطودِ مَثوى عُشِّكا(1)
تختفي فيه رعوْدٌ وبروقُ
وتُذَيِّبُ النَّفْسَ في نارِ الحياهِ

(1) الهما: طائر خرافي يجلب الحظ.

في بيان أن للتربية الذاتية ثلاث مراحل:
(الطاعة ، ضبط النفس، النيابة الإلهية)

(الطاعة)

شيمة الصبر وقار الجمل	أفة الكد شعار الجمل
زورقاً في البيد يسري هادياً	صامت الأخفاف يمشي ماضياً
شارد النوم قليلاً أكله	نقشت وجه الصحاري أرجله
راقصاً يُقدم شطر المنزل	ثملاً يختال تحت المحمل
هائم بالسير عجباً يخطر	في المدى من راكبيه أضبر

وارجون من عنده حسن المآب	فاحمل الفرض قوياً لا تهاب
فمن الجبر سيدو الاختيار	اجهدن في طاعة يا ذا الخسار

وهوى الطاغى ولو كان اللهب
من ثوى في القيد من شرعته
طوع قانون له قد ذللاً
فإذا ما حادَّ يُجفَى بالعراء
دُمهُ من ذاك يسرى في العروق
فهى بحرٌ وهى برٌّ باتصال
كيف فى هذى المعانى يُمترى؟
زَيْنَنَ رَجَلَكُ بِالْقَيْدِ الْوَسِيمِ
وحدودَ المصطفى لا تعدون

بامثالِ الأمرِ يعلو من رَسَبِ
سُخْرِ الْأَفْلاكِ فى هَمَّتِهِ
قد سرى النَجْمُ يَوْمَ الْمَنْزِلَا
وَنما العشبُ بقانونِ النَّماءِ
ولهبٌ دائمٌ دينُ الشَّقِيقِ
يربطُ الذَّرَاتِ قانونُ الوصالِ
كلُّ شىءٍ فىه قانونٌ سَرى
ارجعْ يا حُرَّ دُستورِ قديمِ
شِدَّةً فى شرعنا لا تشكون

(ضبطُ النَّفْسِ)

فِي إِبَاءٍ وَعِنَادٍ وَصَلْفٍ
 تَبْلُغُنَّ مِنْ ضَبْطِهَا أَعْلَى مَقَامٍ
 هُوَ فِي حُكْمٍ سِوَاهِ مُرْغَمٍ
 سَيْطَ فِي أَمْشَاجِهِ خَوْفٌ وَحُبٌّ :
 خَوْفٌ مَوْتٍ وَرِزَايَا فَاقَرَهُ
 حُبٌّ زَوْجٍ وَقَرِيبٍ وَوَلَدٍ
 مَرْكَبُ الْأَهْوَاءِ، مَغْلُوبُ الْفِتَنِ
 فَلْتُحْطِمْ طِلْسَمَ الْخَوْفِ يَدَاهُ
 لَا تَرَى الْبَاطِلَ يُحْنِي رَأْسَهُ

جَمَلُ نَفْسِكَ تَرَبُّو بِالْعَلْفِ
 فَكُنِ الْحَرَّ وَقُدْهَا بِزِمَامٍ
 كُلُّ مَنْ فِي نَفْسِهِ لَا يَحْكُمُ
 إِنَّمَا صُوِّرَتْ مِنْ طِينٍ لَزِبُ
 خَيْفَةُ الدُّنْيَا وَخَوْفُ الْآخِرَةِ
 حُبُّ جَاهٍ وَثِرَاءٍ وَبَلَدٍ
 مِنْ مَزَاجِ الطِّينِ وَالْمَاءِ الْبَدَنِ
 مَنْ يَمْسِكُ بَعْصاً مِنْ «لَا إِلَهَ»
 كُلُّ مَنْ بِالْحَقِّ أَحْيَا نَفْسَهُ

ليس، غير الله، يخشى أحدا
من قيود الزوج والولد خلا
يضع السكين في حلق الولد
يبدل الروح بيوم الخطر

حجك الأصغر، فاعرفها الصلاة
يقتل الفحش به والمنكر
ضابطاً بالقسط هذا الجسد
هجرة الأهل به والوطن
إنها خيط كتاب الملة
علمت حب المساواة البشر
«لن تنالوا البر حتى تنفقوا»
إن يكن في القلب دين محكم
تحكم في ذلك البكر الأبي

ليس يدنو الخوف منه أبدا
كل من موطنه إقليم «لا»
معرض عما سوى الله الأحد
واحد من نفسه في عسكر

درة التوحيد، فاحفظها الصلاة
في يد المسلم هذا الخنجر
يفتك الصوم بجوع وصدى
وينير الحج قلب المؤمن
إنما الطاعة أس الأمة
بالزكاة العابد المال اذكر
تكثر المال، وشحاً تمحق
تلك أسباب بها تستحكم
اقويا مؤمن بالله القوي

(النبابة الإلهية)

إِن خَطَمْتَ الصَّعْبَ قُدَّتْ الْعَالِمَا
 مَشْرِقًا فِي الْأَرْضِ مَا دَارَ الْفَلَكَ
 نَائِبُ الْحَقِّ عَلَى الْأَرْضِ سَعِيدٌ
 هُوَ بِالْجِزءِ وَبِالْكَلِّ خَبِيرٌ
 فِي فَيْسِحِ الْأَرْضِ يَمْضِي طَاوِيَا
 يَنْجَلِي مَنْ فِكْرِهِ مِثْلَ الزَّهْرِ
 يُنْضِجُ الْفِكْرَةَ فِينَا بِالضَّرْمِ
 رَنَّ عَوْدُ الْقَلْبِ مِنْ مَضْرَابِهِ
 بَاعَثُ فِي الشَّيْبِ أَلْحَانَ الشَّبَابِ
 نَافَذَ الْأَمْرِ عَلَيْهِ حَكْمَا
 فَتَرَى الْمُلْكَ الَّذِي يَخْلُدُ لَكَ
 حَكْمُهُ فِي الْكُونِ خُلْدٌ لَا يَبِيدُ
 وَبِأَمْرِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَمِيرٌ
 عَزْمُهُ، هَذَا الْبَسَاطُ الْبَالِيَا
 غَيْرَ هَذَا الْكُونِ أَكْوَانٌ أُخْرُ
 يُخْرِجُ الْأَصْنَامَ مِنْ بَيْتِ الْحَرَمِ
 يَقِظُ فِي الْحَقِّ نَوْمَانٌ بِهِ
 نَاشِرٌ فِي الْكُونِ أَلْوَانَ الشَّبَابِ

وهو جُنْدِيٌّ وِراَعٍ وأَمِيرٌ
سُرٌّ «سبحان الذي أسرى» هُوَهُ
حينما يُمِسُّكَ مِنْهُ بِالْعِناَنِ
وهي إلى أبدانها مثل الرَّمَمِ
سَطوَةٌ فيها نِجاةُ العالَمِ
قِيَمُ الأَعْمالِ مِنْهُ في بَدَلٍ
كَمِ كَلِيمِ هَامٍ في سِنائِهِ!
عَبَّرَ الرُّؤيا بِتعبيرٍ جَدِيدٍ
نِغْمَةٌ يُضْمَرُ مِزْمارُ الحِياهِ
لِيقِيَمِ الوِزْنَ إِذْ أَبدَعَهُ
فبدا الفارسُ مِنْ هِذا الهِباهِ

هو في الناسِ بِشِيرٍ وَنَذِيرٍ
مَقْصِدٌ مِنْ «عَلَّمَ الأَسْماءَ» هُوَهُ
مُحَضَّرٌ مِنْ تَحْتِهِ طِرْفُ الزَّمانِ
يَبْعَثُ الأرواحَ مِنْهُ قَوْلُ «قُم»
ذاتِهِ تَتَبِعُ ذاتُ العالَمِ
يَبْعَثُ المِيتَ بِإِعْجازِ العَمَلِ
سِيرُهُ يَخْضِرُ في بِدايِهِ
جَدَدَ الدُّنيا بِتفسيرٍ جَدِيدٍ
كُونُهُ المِكنونُ أسرارُ الحِياهِ
شاعِرُ الفِطْرَةِ غَنَّى طَبَعَهُ
نَقَعْنَا نِثارًا إلى أَوْجِ السَّماهِ

شُعْلَةٌ يرمي بها الكونَ الغدُ

في رَمادِ اليَوْمِ مَنّا تَرُقُدُ

ضَاءَ مِنْ صَبْحِ غَدٍ أَبْصَارُنَا
 أَنْتِ يَا نُورًا لِعَيْنِ الْمَمْكَنِ
 وَتَمَكَّنْ فِي سَوَادِ الْأَعْيُنِ
 وَامْلَأِ الْأَذَانَ زَهْرَ النَّغَمِ
 وَأَدِرْهَا كَأْسَ حَبِّ وَصَفَاءِ
 وَأَعِدْ فِي الْأَرْضِ أَيَّامَ الْوَثَامِ
 أَنْتِ مَنْ رَكِبِ الْحَيَاةَ الْمَنْزُلُ
 فَاعْدُ فِي الرُّوْضِ رَبِيعًا نَضْرًا
 فِي جِهَادِ الْكُونِ نَمْضِي كَالشُّعْلِ

رَوْضَةٌ تُضْمِرُهَا أَكْمَامُنَا
 أَنْتِ يَا فَارِسَ طَرْفِ الزَّمَنِ!
 مَوْكِبَ الْإِنْشَاءِ هِيَا زَيْنِ
 قُمْ فَسَكِّنْ مِنْ ضَجِيجِ الْأُمَمِ
 جَدِّدْ فِي النَّاسِ قَانُونَ الْإِخَاءِ
 أَبْلِغِ النَّاسَ رِسَالَاتِ السَّلَامِ
 مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ أَنْتِ الْأَمْلُ
 أَذْبَلَتْ كَفُّ الْخَرِيفِ الشَّجْرَا
 نَحْنُ مِنْ فَيْضِكَ نَسْمُو لِلْقَلَلِ

وَكُنِ السُّورَ لِبَسْتَانِ الزَّهْرِ
 ثُمَّ شَيْدٌ عَالِمًا بِدَعَا لَكَ
 فَلِيَضَعُ غَيْرُكَ مِنْكَ اللَّبْنَا

يَا أَخَا الْوَرْدَةِ كُنْ صِنْوَةَ الْحَجْرِ
 أَدْمِيًّا صَوْرَنَ مِنْ تَرْبِكَ
 أَنْتِ إِنْ كُنْتِ تَرَابًا هَيْنَا

أَيُّهَا الصَّارِخُ مِنْ جَوْرِ الدَّهْرِ
فِيمَ هَذَا النُّوحِ؟ ماذا المَأْتَمُ؟
مضمراً في السعي مضمون الحياة
قَمُ فشيْدَ عالِماً دونَ مثيلِ
إنما السَّيرُ على حُكْمِ الزَّمانِ
إنما الحرُّ الشجاعُ الفِطِنِ
وَإِذَا الدُّنْيَا عَتَتْ عَنْ أَمْرِهِ
يهدمُ الموجودَ فيما آثرا
يصرفُ الأيامَ عن كَرَّاتِهَا
خالِقاً من قوَّةٍ في قلبِهِ
فإِذَا أَعْوَزَ عَيْشُ الرَّجُلِ
حبذا عشقُ بغيِ الأمرِ الجليلِ

يأزجاً يشتكى جَوْرَ الحَجَرِ
وإلامَ الصِّدْرِ حُزناً تَلْدِمُ؟
لذَّةُ التخليقِ قانُونُ الحياهِ
وَحُضِّ النَّارِ وَأَقْدِمُ كَالخَلِيلِ
هو رَمِي التُّرْسِ في وقتِ الطَّعانِ
مَنْ قَفَا الأَثَارَ مِنْهُ الزَّمَنُ
حاربَ الدَّهْرَ، ولم يعبأ بِهِ
يمنحُ الذرَّاتِ شكلاً آخِراً
يمنعُ الأفلاكَ من دوراتِها
ذلك العَصْرَ الذي يرضى بِهِ
فالحياةُ الموتُ موتَ البطلِ
وجنى في النَّارِ ورداً كَالخَلِيلِ

قوَّةٌ كامنةٌ في البطلِ
 استمع: صاح، ذا شرع الحياة:
 حبَّ الاستيلاء فيه مُضمرُ
 يكسرُ الموزونَ من أبياتها
 لصفوفِ الدهرِ ذلُّ طائعُ
 قلبه خوفًا وكذباً يُضمرُ
 ليثه في كلِّ خبثٍ والغُ
 فاحذرن يا صاحبَ العقلِ السليمِ
 إنَّه الحِرباءُ في تلوينه
 لبسَ الحقِّ عليهم واستترُ
 وهو حيناً في اتِّضاعٍ يُستترُ
 وهو طوراً في حجابِ القدرِ

تتجلى في مِراسِ المُعضلِ
 عدَّةُ الأندالِ حقدٌ لا سواه
 الحياةُ الحقُّ بأسٍ يظهرُ
 ربَّ عفوٍ كان من آفاتِها
 يحسبُ العجزَ قنوعاً خانعُ
 قاطعُ سُبُلِ الحياةِ الخورُ
 قلبه من كلِّ خيرٍ فارغُ
 في كمينٍ راصدٌ هذا اللئيمِ
 احذرن يا صاحٍ من تزيينه
 إنَّه يخفى على أهلِ النظرِ
 في ثيابِ اللينِ حيناً يظهرُ
 وهو طوراً في ثيابِ المُجبرِ

يُلبسُ الصِّحَّةَ ثوبَ الدَّنْفِ
اعرفنْ نفسَكَ، هذا جامٌ جَمٌ⁽¹⁾
فُسرِ الحقُّ بها والباطلُ
إنَّ تحدَّى المدَّعي بالقوةِ
وهنُّ الحقِّ يُحقُّ الباطلُ
إنَّ تقلُّ للخيرِ شرُّ فهو شرُّ
أنت في الكونينِ أعلى منزلاً
تُبصرِ الحقَّ طريقاً مُعلماً

وهو حيناً في لباسِ التَّرفِ
ما سوى القوةِ للصدقِ دَعَمٌ
هي من حِقْلِ الحياةِ الحاصلِ
مُدَّعاه في غنى عن حجَّةِ
تجعلُ الباطلَ حقاً مائلاً
سطوةُ القوَّةِ تُحلي ما أمرُّ
أيُّها الغافلُ عمَّا حمَّلاً
افتحنْ عيناً وأذناً وفماً

(1) جام جم : المقصود جام جمشيد وهي كأس خرافية كانت تُرى فيها الأقاليم السبعة.

قصّة الطائر الذي أجهدّه العطش

طائرٌ منْ ظمأٍ قد جَهدا
 قد رأى ألماسةً مثلَ الندى
 خدَعتهُ شذرةٌ مثلُ الشرزِ
 لم يجدْ رِيًّا بضربِ المنقرِ
 قالتِ الشذرةُ: جُنبتَ الهدى
 لستُ ماءً. لا تراني ساقيةً
 جاهلٌ يقصدُ هضمي ما اهتدى
 كلُّ منقارٍ بمائي ينكسرُ
 ما رأى الطائرُ فيها أربا
 كدخانٍ نفساً قد صعّدا
 صاغها ماءً لعينه الصدى
 فرأى الجاهلُ ماءً في الصخرِ
 لم يُصبْ ماءً بنقرِ الجوهري
 تضربُ المنقارَ في جسمي سدى
 ما أنا من أجلِ غيري باقيةً
 لحياةٍ نورها منها بدا
 وترى الإنسانَ منه ينبهزُ
 فتولّى عن سناها لغباً

حسرةً في صدره تتقدُّ

زفراتٍ لحنه يصعدُ

وأضاءت مثل دَمَعِ البلبَلِ
لضياءِ الشَمِسِ فيها مِنَّةٌ
كوكبٌ يرعدُ من نَسْلِ السَّمَاءِ
غَرَّةُ الأَكْمَامِ والزَّهْرُ الخَصِيبُ
قطرةٌ من دَمَعِ صَبِّ تبهُرُ
فمضى الطائرُ فيها راغبا
أيُّها الباغِي عدوًّا تفهَرُ
حينما الطائرُ أضناه صداهُ
كانت الشَّدْرَةُ عضباً يُرهبُ
قوةَ الذَّاتِ احفظنَّها أبدا
أنضجِ القِطْرَةَ كالطَّوْدِ تُرى
أثبتِ الذَّاتَ وفيها حَقِّقِ
ومن الذَّاتِ أبْنِ أسرارها

قطرةٌ في غُصْنِ وردٍ خَضِلِ
ولخوفِ الشَمِسِ فيها رعدةٌ
شاقه الجلوةُ في هذا الفضاءِ
لم يزودُ من حياةٍ بنصيبِ
زانتِ الهُدْبَ وكادت تقطُرُ
بلَّ بالقطرةِ حلقاً لاهبا
قطرةٌ أنت، تُرى، أم جوهرُ؟
حيًّا نفساً ب حياةٍ من سِواهِ
لم تكن قطرةٌ طَلَّ يُشربُ
وكنِ الألماسَ لا قطرَ الندى
حاملاً غيماً مُفيضاً أنهراً
فضةً كُنْ بالتَّامِ الزُّبْقِ
حرَّكْنِ عن لحنها أوتارها

(في بيان أن حياة المسلم لإعلاء كلمة الله)

صبغة الله أنز في قلبك
 إنما المسلم بالحب قهر
 غص بالحق، وبالحق نظر
 في رضا لرضا الحق فناء
 في ربي التوحيد أرسى العمدا
 وعليه يشهد الداعي الأمين
 فدع القال إلى الحال الجلي
 وكن الدرويش في زي الأمير
 واقصدن الحق في كل الفعال
 خير الحرب إذا رمت الإله
 نحن إن لم يُعلِ حقاً سيفنا
 والهوى والصيت دَع في حُبكا
 مسلم لا حب فيه قد كفر
 وله في الحق نوم وسهر
 كيف يرضى الناس هذا الأدعاء
 وعلى الناس جميعاً شهدا
 شاهد أصدق كل الشاهدين
 وأضىء بالحق ليل العمل
 ذاكراً لله يقظان الضمير
 يسطعن فيك من الحق جلال
 شر السليم إذا رمت سواه
 اكتسى في الحرب عاراً صفنا

الوقت سيف

سَحَرَ الألباب هذا الألمعي
حين سَمَى الوقت سيفاً قاطعاً
كُفَّهُ كَفُّ كليم، ضارِبُهُ
ويَغِيضُ البحرُ من صَوْلتهِ
فَشَأِ التَّدبيرِ بالعزمِ الصِّميمِ
صَيَّرَ القلزمَ مثلَ الييسِ
زَلْزَلَتْ خيبرَ كَفُّ الحيدرِ

نَضَّرَ الله ترابَ الشَّافعي
فِكْرُهُ قد صادَ نجماً لامعاً
فاتَ خوفاً ورجاءً صاحِبُهُ
تُعْدِقُ الصَّخْرَةَ من ضَرْبَتِهِ
كانَ هذا السَّيْفُ في كَفِّ الكليمِ
شقَّ صدرَ البحرِ لمعَ القَبسِ
وبهذا السَّيْفِ يومَ الخطرِ

وتوالي نُورِهِ والحلِكَ
انظُرْنَ في القلبِ كَوْناً سُترا
وحسبتَ الوقتَ خطأ طائلاً

ممكُنْ إبصارُ دورِ الفلكِ
يا أسيرَ اليومِ والأمسِ انظرا
أنتَ في النفسِ بذرتَ الباطلا

بذراعٍ من صَباحٍ ومساءً
 صِرْتَ للأصنامِ نِدًّا وئيلكا!
 يا وليدَ الحقِّ صِرْتَ الباطِلا
 شمعةً في محفِلِ الأحرارِ كُنْ
 كيف تدري ما خلودُ الحيوانِ؟
 «لي مع الله» بها الوقتُ اعرفنِ
 والحياةُ السرُّ من أسرارِهِ
 إنَّها تفنى وهذا يخلدُ
 وبه في العيشِ ما ساءَ وسرَّ
 وفَرَقْتَ اليومَ من أمسِ الزَّمانِ
 وحبيسَ السَّجنِ من بنيانِهِ
 ليسَ فيه أوَّلٌ أو آخِرُ
 «لا تسبوا الدهرَ» قولُ المصطفى

وذرعتَ الوقتَ، طولاً، للشِّقاءِ
 وجعلتَ الخيطَ زُناراً لكا
 صِرْتَ يا إكسيرُ تُرباً سافِلا
 اقطعِ الزَّنارَ حرّاً لا تهنُ
 إليه يا غافلُ عن أصلِ الزَّمانِ
 يا أسيرَ الصُّبحِ والمُسى اعقلنِ
 كلُّ ما يظهرُ، من تسياره
 ما من الشَّمسِ أراهُ يوجَدُ
 وبه الشَّمسُ أضاءتُ والقمرُ
 قد بسطتَ الوقتَ بسطاً كالمكانِ
 يا شذاً قد فرَّ من بستانِهِ
 وقتننا بين الحنايا سافرُ
 الحياةُ الدهرُ يا مَنْ عَرَفَا

بين حُرِّ ورقيقٍ فارقه:
حيرة الأزمانِ قلبُ المؤمنِ
من صباحٍ ومساءٍ مُدعنا
نفسه حول الليالي نَسجا
يُحرّم التحليقَ في جوِّ السماءِ
طائرُ الأيامِ فيه يُحبسُ
ليس في تفكيره من طائلِ
نَوْحه ليلاً وصُبحاً واحداً
كلَّ حينٍ، وحديثُ النعمةِ
وثوى في فمه لفظُ القضاءِ
صوّرت كفاه أحداثُ الدهرِ
عاجلٌ بين يديه الآجلُ

نكتةُ كالدُّرِ خُذها رائقةُ
حيرةُ العبدِ مسيرُ الزّمنِ
ينسجُ العبدُ عليه كفنا
وترى الحرَّ من الطينِ نجا
قفصُ العبدِ صباحٌ ومساءً
وبصدْرِ الحرِّ ثارُ النفسِ
فطرةُ العبدِ حصولُ الحاصلِ
في مقامٍ من همودٍ راكداً
ومن الحرِّ جديداً الخلقةِ
قيّد العبدُ صباحاً ومساءً
وأرى الحرَّ مُشيراً للقَدَرِ
عنده الماضي التقى والقابلُ

عجز الإدراك في هذا المدى

ضاق عن معنای حرف وصدی

وَشَكَاَ الْمَعْنَى مِنَ اللَّفْظِ الْمَحِلِّ:
 نَارَهُ يُخِمِدُ مِنْكَ النَّفْسُ
 رَمَزُ وَقْتٍ وَمُرُورٍ فِي الْقُلُوبِ
 وَلَهُ فِي الْقَلْبِ سِرًّا خَافِتَا
 صَرَّفْتَهُ فِي أَيَادِينَا الْقُدْرَ!
 وَجَلَوْنَا الْحَقَّ مِنْ سِتْرِ الْغُيُوبِ
 وَاسْتَنَارَ التُّرْبُ مِنَّا سُجْدَا
 وَهَدَمْنَا حَانَةَ الْعَصْرِ الْعَتِيقِ
 وَمُذِيبَ الْكَأْسِ مِنْ لِأَلَانِهَا
 وَمِنَ الْفَقْرِ لَدِينَا تَسْخَرُ!
 صَدَرْنَا كَانَ لِقَلْبٍ مُشْعَلِ
 مِنْ عَجَاجٍ ثَارَ فِي تَسْيَارِنَا
 عَزَّ أَهْلُ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا بِنَا

قُلْتُ، وَاللَّفْظُ مِنَ الْمَعْنَى خَجِلُ
 مَاتَ مَعْنَى فِي حُرُوفٍ يُحْبَسُ
 سِرُّ غَيْبٍ وَحُضُورٍ مِنْ قُلُوبِ
 إِنَّ لِلْوَقْتِ لَلْحَنَاءَ صَامَتَا
 أَيْنَ أَيَّامٌ بِهَا سَيْفُ الدَّهْرِ
 قَدْ غَرَسْنَا الدِّينَ فِي أَرْضِ الْقُلُوبِ
 وَمِنَ الدُّنْيَا حَلَلْنَا الْعُقْدَا
 مِنْ دَنَانِ الْحَقِّ صَرَّفْنَا الرَّحِيقِ
 يَا مَدِيرَ الرَّاحِ فِي أَضْوَائِهَا
 مِنْ غُرُورٍ وَاخْتِيَالٍ تَسْكُرُ
 كَأُسْنَا كَانَتْ سِرَاجِ الْمَحْفِلِ
 إِنَّ هَذَا الْعَصْرَ مِنْ آثَارِنَا
 رَوْضَةُ الْحَقِّ ارْتَوَتْ مِنْ دِمِنَا

كَعَبَاتٍ شَادَ مِنْ تَعْمِيرِنَا
بِيَدِينَا رِزْقَهُ قَدْ قَسَّمَا
أَنْ تَرَى التَّاجَ مَضَى وَالخَاتَمَا
قُدَمَاءَ الْفِكْرِ أَحْلَافَ الصَّغَارِ
نَحْنُ لِلْكَوْنِينِ حُرَّاسُ أَبَاهِ
وَوَفِينَا لِحَبِيبٍ أَوْحَدِ
نَحْنُ عِنْدَ الْحَقِّ سِرٌّ مَدَّخَرُ
غَيْمُنَا فِيهِ بَرُوقٌ وَسَنَا
آيَةُ الْحَقِّ وَجُودُ الْمَسْلَمِ

كَبَّرَ الْعَالَمُ مِنْ تَكْبِيرِنَا
«اقْرَأْ» الْحَقُّ لَنَا قَدْ عَلَّمَا
لَا تَهْوُونَ قَدَرَ حُرِّ أَعْدَمَا
إِنْ نَكُنْ عِنْدَكَ أَصْحَابَ الْخَسَارِ
فَلدِينَا عِزَّةٌ مِنْ «لَا إِلَهَ»
قَدْ تَرَكْنَا غَمَّ أَمْسٍ وَغَدِ
نَحْنُ وَرَاثُ هِدَاةٍ لِلْبَشْرِ
لَا تَزَالُ الشَّمْسُ تُبَدِي نَوْرَنَا
ذَاتْنَا الْمِرَاةَ لِلْحَقِّ، اعْلَمْ

القسم الثاني رموز نفي الذات

في معنى ارتباط الفرد والأمة

كاملٌ جوهرُهُ في المَلَّةِ	رحمةٌ للفردِ حِجْرُ الأُمَّةِ
في ذُرَا الأحرارِ كُنْ مثلَ الشعاعِ	فالزَّمَنُ الجمعُ جهْدُ المستطاعِ
كلُّ شيطانٍ مِنَ الجمعِ نَفْرُ	واحْفَظْهُ ما قاله خيرُ البشرِ:
وكذا مرآتها صورتُهُ	فَرُدْنَا مرآته أُمَّهُ
أو نجومٌ تتجلى في النَّهْرِ	وهما سِلْكُ نظامٍ ودُرْرُ
ومن الأفرادِ نظمُ الأُمَّةِ	قيمةُ الأفرادِ جدوى المَلَّةِ
كان كالقطرة صارت خِضْرَما	وإذا الواحدُ في الجمعِ نما

جَمَعَ الماضي له في لَبِّهِ
صلة الأَمْسِ تراه والغَدِ
هو بالأُمَّةِ قلبٌ طامِحٌ
روحُه من قومِه، والبدنُ
بلسانِ القومِ يشدو منطِقاً
تُنضِجُ الفِطْرَةَ فيه الصُّحْبَةُ
تُحَكِّمُ الوحدَةَ فيه الكثرةُ
أفردِ اللَّفْظَ من البيتِ ترى
تَسْقُطُ الأوراقُ من غصنٍ يَنبِغُ
طَفِئَتْ أنعامُ أعوادِ غِنَاءِ
يُحَرِّمُ الفردُ الوحدِ المقصدا
تجمعُ الأُمَّةُ شملَ المِنَّةِ
نَشَأَتْ بالقيدِ حرّاً مطلقاً
ظبيُّه الوثابُ مسكاً يعبِقُ

والتقى الغابِرُ والآتي بهِ
وقته لا ينتهي كالأبدِ
وهو بالأُمَّةِ سعيُّ رابِحِ
سرُّه من قومِه والعلَنُ
ومن الأسلافِ يقفون طُرُقاً
فتراه الفردَ وهو الأُمَّةُ
وهي، بالوحدَةِ فيه، وحدَةٌ
جوهرَ المعنى لديه انكسَرا
فترى محرومةً وصلَ الرِّبيعِ
فاتها من زمزمِ الأُمَّةِ ماءُ
فترى نظمَ قُواه بَدَدَا
فيه تحبوه عظيمَ الهَمَّةِ
أثبتت في الأرضِ سَرَواً بسَقَا
إن حواءَ من نظامِ وهَقِ

أنت لم تعرف «خودي» من «بيخودي»
 إنَّ في طينك نوراً قد بدا
 كلُّ غمٍّ ورضاً من دورته
 أنت منه أنت حقاً، وأنا
 يخلقُ النَّفسَ وَيَذرو وَيُقِرُّ
 يأسرُ الشعلةَ هذا الشَّرُّ
 حرّةٌ رهنٌ قيودِ فطرتَه
 لكفاحٍ دائمٍ تنزوا قواه
 يستثيرُ الحربَ في جلوته
 يقطعُ الجبرُ عليه الطُّرقا
 نكتةٌ خذها بكفِّ مِخْدَمِ
 أنت لا ريبَ من الشكِّ ردي (1)
 بشعاعٍ منه أبصرتَ الهدى
 أنت حيٌّ بتوالي ثورته
 أنا وهو الفرد لا يرضى ثنا
 ذو دلالٍ في خضوعٍ مُستترِ
 لهبٍ من حرِّه مُستعرِ
 جزؤه بالكلِّ حاطت قوته
 هو يُسمَى الذاتُ أو يُسمَى الحياه
 حين يُبدي النَّفسَ من خلوته
 وله بالحبِّ فرعٌ سَمَقا
 «وانصرف عني إن لم تفهم»

(1) خودي: معناها الذاتية، بيوخودي: معناها نفي الذاتية، ويعني الشاعر أن الإنسان إن لم يميز مواضع الذاتية من مواضع نفيها اشتبه عليه أمره.

(من أركان الأمة الإسلامية) التوحيد

قَادَهُ التَّوْحِيدُ شَطْرَ الْمَنْزِلِ
زورقُ الفكرِ أضلَّ السَّاحِلَا
رمزُ توحيدِ لقلبٍ يُبصرُ
فيجلى لك سِرًّا أُغْفَلَا
ويُرى الأيدُ به والمُكنةُ
تجلى عملاً في العاشقين
ويصير التُّرْبُ تَبْرًا يَسْطَعُ
فيردُّ العبدَ خلقاً آخِرا
دُمُهُ كالبرقِ فيه لاهِبُ
عينُهُ في الكونِ يَقْظَى تَعْمَلُ

طَوَّفَ الْعَقْلُ بَدْنِيَا الْعِلَلِ
أَعْوَزَ الْمَنْزِلُ هَذَا السَّابِلَا
في «آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا» مُضْمَرُ
يبتلي التوحيدُ فيكَ الْعَمَلَا
يُشرقُ الدِّينُ به والحكمةُ
قد تجلى حيرةً للعالمينُ
يرتقي في ظِلِّهِ الْمَتَّضِعُ
يجتبي التوحيدُ عبداً ثابِرا
فهو في الحقِّ حَيْثُ دَائِبُ
ريبُهُ يَفْنَى ويحيَا الْعَمَلُ

في «مقام العبد» إن تثبت قدم
 «لا إله» الروح في أمتنا
 «لا إله» السر في أسرارنا
 صار قلباً إن حواها حجر
 يتلظى الكون من زفرتها
 وتسيل القلب ماء في الصدور
 شعلة في روحنا مثل الشقيق
 بيض التوحيد مسود البشر
 ليس إلا القلب قرب وابتعاد
 وحدة القلب قوام الأمة
 قد هدى الأمة سبل العمل
 نزعاً واحدة في قلبها
 لا يجيد الفكر في قيثاره
 نحن في الإسلام أبناء الخليل

جَرَّة السائلِ تُصبحُ جامَ جَم
 «لا إله» اللّحنُ في نغمتنا
 «لا إله» السِّمطُ من أفكارنا
 كلُّ قلبٍ لم تُنرّه، مدُر
 ويضيءُ القلبُ من وقديتها
 تصهرُ المرآةُ منه في الحروز
 كلُّ ما نمتاره منها الحريقُ
 فأبو بكرٍ أخوه وعمُر
 وهذه الكأسُ بها هاجَ الفؤادُ
 أشرقتُ سيناءُ من ذي الجلوةِ
 هذه الفكرُ بها والأملُ
 فعيارُ الحُسنِ والقبحِ بها
 دونَ نارِ الحقِّ في أوتارهِ
 من «أبيكم» خذ إذا شئتَ الدليلُ

(في معنى أن الخوف والحزن واليأس أمهات الخبائث
وأن التوحيد دواء هذه العلل الخبيثة)

فَعْدَا الصِّدِيقُ صَدِيقًا بِهِ ذَلِكَ النُّصْحُ سَرَى فِي قَلْبِهِ
بِاسْمٍ فِي سَعِيهِ وَالذَّابِ وَنَمَا الْمُسْلِمَ مِثْلَ الْكَوْكَبِ
إِنْ عَرَفْتَ اللَّهَ، أَغْلَالَ الطَّمَعُ حَرَّرَ النَّفْسَ مِنَ الْغَمِّ وَدَعَّ
وَرَدَ «لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» فَاقْرَأَنَّ قُوَّةَ الْإِيمَانِ تُحْيِي فَاَعْلَمَنَّ
حِينَ يَمْضِي نَحْوَ فِرْعَوْنَ كَلِيمِ قَلْبُهُ مِنْ «لَا تَخَفْ» قَلْبُ سَلِيمِ
وَهُوَ لِلْأَحْيَاءِ قَطْعُ السُّبُلِ خَوْفٌ غَيْرِ اللَّهِ قَتَلَ الْعَمَلِ
وَتَرَى الْمَقْدَامَ مِنْهُ حَذِرًا وَبِهِ الْعِزْمُ يَخَافُ الْغَيْرَا
حَرَمْتُهُ مِنْ تَجْلِيهَا الْحَيَاةُ مَنْ نَمَا ذَا الْبَذْرِ يَوْمًا فِي ثَرَاهُ
بِيَدٍ شَلَّتْ وَقَلْبٍ يَرْجُفُ فَهُوَ فَسْلٌ وَهُوَ شَادٍ يَعْرِفُ

يسلبُ الرأسَ قوى أفكارها
هانَ كالوردِ، عليه قطفُكا
عينُه فيكَ حسامٌ لا يدي
منْ عبابٍ مائجٍ في دهرنا!
ويهزُّ اللحنُ آفاقَ السماءِ
أصلُه الخوفُ، إذا ما تُبصرُ
مثل ميمِ الموتِ قلبٌ أظلما
أذنهُ تدليسُ أخبارِ الحياةِ
ونفاقُ القلبِ منه يورقُ

يسرقُ الرِّجْلَ قُوى تسيارها
إن تجلّى لعدوّ خوفُكا
سيفُه يزدادُ فتكاً في اليدِ
غلنا الخوفُ، وكم في بحرنا
إن أبى الأذنَ يثر فيه الغناءِ
كلُّ شرٍّ في فؤادٍ يُضمّرُ
منْ ديارِ الموتِ عينٌ قدما
عينُه تلبیسُ آثارِ الحياةِ
يزهرُ الخبُّ به والمَلقُ

حجرُه الفتنةُ فيه والحربُ
هو خدنٌ لحليفِ الذلّةِ
يجدُ الإشراكُ في الخوفِ اختفى

ثوبُه للزُّورِ سترٌ والريبُ
حُرْمَ الخوفِ طموحِ الهمةِ
كلُّ من يفقدُ سرَّ المصطفى

(في بيان أنّ الأمة لا تنتظم بغير شريعة
وشريعة الأمة المحمّدية القرآن)

ككثيبٍ من رمالٍ وهنا
ذلكم باطن دين المصطفى
وهي من دون نظام ضجّة
يعلق النظم به فهو غناء
أي سرّ ضمنت قدرتك؟
حكمة في الدهر تبقى لا تريم
يستمدّ النكس أبدأ من قواه
آية لا لبس أو تأويل فيه
وبها يرمي الزجاج الحجرا

أمة خلّت يداها السننا
سيرة المسلم شرع وكفى
بانظام الصّوت تعلق النعمة
إنما في الحقّ موجّ من هواء
صاح، هل تعلم ما سنّتكا
الكتاب الحيّ والذكر الحكيم
إنّ فيه سرّ تكوين الحياة
لفظه لا ريب أو تبديل فيه
قوة فيه تشدّ الخورا

فدعا الصيَّادُ منه بالتُّبورِ
 قد تلاه «رحمةً للعالمين»
 وتقيمُ الرأسُ منه سجدةً
 من كتابٍ، كم كتابٍ سَطَّروا
 قد أضأؤوا بالعلومِ الفِكرًا
 وعلى الأفلاكِ منه وَجَلُ
 قد حواه الصَّدْرُ من أطفالنا
 عينه حمراءُ من وَقْدِ النَّهَارِ
 دُمها كالنَّارِ في رمضائها
 ضارِبُ في البِيدِ يقلي الحَضْرَا
 فاستقرَّ الموجُ فيه كالدَّرْرُ
 فعدا بالحقِّ حرًّا لا يَمِينُ
 عَرَشَ جَمِّ وطئَتْه رِجْلُهُ
 ورياضاً أَنْبَتَتْ زَهْرَتُهُ

قَطَعَ الأَشْرَاكُ عن صيدِ كَسِيرِ
 ذا بلاغٍ آخِرٌ للمرسَلينِ
 ترفعُ الخاملَ فيه رفعةً
 قاطعو الطَّرْقِ هداةً صُيِّروا
 والبوادي من سراجِ زَهْرًا
 الذي يُصدَعُ مِنْهُ الجِبْلُ
 ذلك الينبوعُ من آمالنا
 انظرِ الظَّمَانَ في حَرِّ القَفَا
 عَنَسُهُ كالطَّبِي في تَعْدَائِهَا
 طائفُ الصَّحْرَاءِ يَأبَى الجُدْرَا
 خَفَقَتْ في قلبه هذي السُّوْرُ
 قرأَ الدرْسَ من الآيِ المَبِينِ
 حَكَمَ الدُّنْيَا جميعاً عدلُهُ
 مُدْنًا قد شَيَّدَتْ هَبْوَتُهُ

(في بيان أن كمال سيرة الأمة
من اتباع الشرع الإلهي)

ليس إلا النور تحوي الدرر
جوهر باطنه والظاهر
ليس غير الحب أصل السنة
ترتقي منه مقامات اليقين
ومن النظم دوام الأمم
اليد البيضاء فيه والعصا
بدؤه الشرع وبالشرع الختام
أنت من في حكمة الدين أمين:
في أداء النفل ما إن لزمنا

لا تقل في الشرع معنى مضمراً
جوهر أبداع فيه القادر
ليس علم الحق غير الشريعة
شرعنا للفرد مرقاة اليقين
شريعة الحق نظام الأمم
إن فيه الأيد يا من أخلصنا
قام للإسلام بالشرع قوام
لك أيدي نكتة الشرع المبين
إن يعارض ذو عناد مسلماً

فالحياةُ الحقُّ عينُ القدرةِ
 تركَ الإعدادَ والسَّلمَ بغي
 تاركاً للحَرْبِ أخذَ العُدَّةِ
 قَبْلَ أن يأخذَ كلَّ الأُهْبَةِ
 «الحياةُ العيشُ بين الخَطْرِ»
 في امتحانٍ لِقِوَاك العاتيةِ
 وبحدِّ السيفِ فاصهزْ صخرها
 حَمَلٌ يَرجفُ في ذلَّتِه

صارَ هذا النفلُ فرضَ الأمةِ
 وإذا جيشٌ عدوٌّ في الوغى
 وقضى أوقاته في الدَّعةِ
 فحرامٌ أخذه بالبَغْةِ
 سرُّ هذا الأمرِ يا ذا البصرِ:
 يتحدَّك برضوى العالِيه
 ويناديك أن اقصمَ ظهرها
 ليس كفاء اللِيث في صولته

شَرُّعُه للنَّاسِ قانونُ الحياةِ
 ويربيك كما الحقُّ يشاءُ
 وينقِّي الرِّينَ من قلبِ الحديدِ
 ضيِّعوا رمزَ بقاءِ عُرفنا

إِنَّ دِينَ المصطفى دِينُ الحياةِ
 إِنَّ تَكُنْ أرضاً يصيرُكَ السَّماءُ
 يصقلُ المرآةَ من صخرٍ شديدٍ
 ضيِّعُ القومُ شعَارَ المصطفى

(خطابٌ إلى المرأة المسلمة)

مُشَعَّلٌ مصباحنا من ناركِ
خَلَقَكَ الطَّاهِرُ فِينَا رَحْمَةً
طَفَلْنَا عَلَّمْتِهِ حِينَ الْفِطَامِ
صِيغَ مِنْ حُبِّكَ أَطْوَارًا لَنَا
بَرْقْنَا فِي سُحْبٍ مِنْكَ ثَوَى
ضَاءَ دِينِ الْحَقِّ مِنْ أَنْفَاسِكَ
ذَلِكَ الْعَصْرُ غُرُورٌ مَا كَرُ
عَقْلُهُ أَعْمَى وَبِاللَّهِ كَفَرُ
عَيْنُهُ عَيْنٌ وَقَاحٌ فَاتِكَ
صَيْدُهُ يَحْسَبُ حَرًّا نَفْسَهُ

عَرَضْنَا فِي الصَّوْنِ مِنْ أَسْتَارِكَ
قَوِيَ الدِّينُ بِهِ وَالْأُمَّةُ
كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ مِنْ قَبْلِ الْكَلَامِ
فَعَلْنَا، أَقْوَالَنَا، أَفْكَارُنَا
شَعَّ فِي الْأَطْوَادِ، وَالبَيْدِ طَوَى
وَنَمَا التَّوْحِيدُ فِي أَحْجَارِكَ
وَعَلَى الْأَدْيَانِ بَاغٍ فَاجِرُ
كَمْ جَهُولٍ فِي شِرَاكِ قَدْ أَسْرُ
بِشَبَاكِ الْهُدْبِ كَمْ مِنْ هَالِكِ!
مَيْتُهُ يَزْعُمُ قَصْرًا رَمْسَهُ

بِكِ يَنْمُو رَأْسُ مَالِ الْمِلَّةِ
لَا تَبَالِي بِجَدِّي أَوْ تَلْفِ
وَأِلَى صَدْرِكَ ضَمِّي وُلْدَكَ
هَذِهِ الْأَفْرَاخُ، لَمَّا تَطِيرِ

بِكِ يَخْضِرُ غِرَاسُ الْوَحْدَةِ
لَا تَسِيرِي غَيْرَ نَهْجِ السَّلْفِ
احْذَرِي فِتْنَةَ عَصْرِ مُهْلِكِ
بُعِدْتُ عَنْ عَشِّهَا فِي خَطْرِ

من ديوان جنام جبريل

نقله من الفرنسية إلى العربية نثراً
.....
الأستاذ عبد المعين الملوحي

ثم صاغه بالعربية شعر
.....
الأستاذ زهير ظاظا

الفراشة واليراع

رَقَصَ اليراع على المِدَادِ الأسودِ:
ما ذاقَ تصليَةً بناهِرِ الموقِدِ
حاشا لأمثالي بمثلِكَ تقدي
بجناحها وسَمُ العبيدِ الرُقَدِ
أنا في فؤادي جُذوتي وتوقُدي

قال الفرأشُ لنفسه لَمَّا رأى
كَمْ في حياتِكَ من غبيٍّ أحمقِ
سمعَ اليراعُ كلامَه فأجابَهُ:
حمداً لربِّي ما خُلقتُ فرأشةً
أنا لستُ أستجدي سوايَ تسوَّالاً

المُلاَّ والفردوس

أنا أيضاً كنتُ لكنْ ما تحمَلتُ السُّكوتُ
 كنتُ مِنْ شِدَّةِ غِيظِي أتمنَّى أنْ أموتُ
 كنتُ إذا ابشَّرتِ الحُجَّابُ بالفردوسِ (مُلاَّ)
 فتقدَّمتُ أنادي: عفوك اللهم كلاً
 ليس للمُلاَّ اهتمامُ بمغانيك وحووركُ
 هو سكرانٌ، نعم سكرانٌ، من غيرِ خموركُ
 ما درى من لُجَّةِ الذُّو قِ سوى قيلٍ وقالٍ
 يحسبُ الدِّينَ الذي أنزلتَ تاريخَ جدالٍ
 أنا لا أرضى لنفسي أن أرى عبدي جباناً
 كيف ترضاهُ زعيماً وهو لا يحسنُ شأننا؟
 لم يُعدْ يأبهُ إنسا نٌ بـ(مُلاَّك) المنفِرُ
 فإذا ما جاء يوماً قيلَ قد جاء المكفِرُ

لا يرى في خَلْقِكَ المسكين إلهة مُطيعا
ليس في الفردوسِ ذكرٌ لكهوفٍ وصوامعِ
إنَّما الفردوسُ فيضُ الحبِّ من صدرِ الجوامعِ

الأرض لله

الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ يُنْبِتُهُ
 وَالغَيْمُ مِنْ لُجَجِ الْأَمْوَاجِ يَرْفَعُهُ
 يَسُوقُ لِلزَّهْرِ أَنْسَامًا تَهَيَّجُهَا
 لِلشَّمْسِ مِنْ نُورِهِ طَوْقٌ يَزِينُهَا
 فَقُلْ لِمَالِكٍ تَاجٍ يَدَّعِيهِ لَهُ :
 مَالِي وَمَالِكَ مِنْ هَذَا التُّرَابِ سِوَى
 الْأَرْضُ لِلَّهِ يَعْطِيهَا أَحَبَّتُهُ
 مِنْ ظِلْمَةِ الطِّينِ رَبُّ الْحَبِّ وَالطِّينِ
 إِلَى السَّمَوَاتِ سُلْطَانُ السَّلَاطِينِ
 فَيَطْلُقُ الزَّهْرَ أَنْغَامَ الْبَسَاتِينِ
 وَلِلنَّدى نَسَبٌ مِنْ حُورِهِ الْعَيْنِ
 أَفِقْ فَإِنَّكَ مَسْكِينُ الْمَسَاكِينِ
 ضَجِيجٌ حِينَ نُؤَلِّي عَنْهُ فِي حَيْنِ
 وَالْحُبُّ عَاقِبَةُ الْغَرِّ الْمِيَامِينِ

الأذان

قال نجمُ الصُّبحِ للأفـُـنـِـفِـةِ يـومـاً لا حـيـا:
أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأَى آ
دَمَ يَوْمًا صَاحِيَا
سَخَّرَ الْمَرِيخَ مِمَّا
قاله نجمُ الصُّباحِ
قال: هل يَنْفَعُ شَيْئًا
صَاحِيًّا أَوْ غَيْرِ صَاحٍ؟
تَدْرِكُ الْأَقْدَارَ مَا تَفْعَلُ فِي هَذَا الظُّلَامِ
وَأرى الخَيْرَ لَدَوًا
مَتِيهِ فِي أَنْ تَنَامَ
قَالَتِ الزَّهْرَةُ: أَفِ
غَيَّرُوا الْمَوْضِعَ هَذَا
نُنْفِقُ اللَّيْلَةَ فِي الْبَا
طَلِ وَاللَّغْوِ لِمَاذَا؟
فِيَمَ نَهْتُمُ لِهَذَا
الذَّرَّةِ الْعَمِيَاءِ قَوْلُوا؟
فَأَجَابَ الْبَدْرُ: هَذَا النَّجْمُ فِي الْأَرْضِ يَصُولُ
نَحْنُ فِي الظُّلْمَةِ نَبْدُو
وَهُوَ يَبْدُو فِي النَّهَارِ
رَوْحَهُ سَرُّ اللَّيَالِي
قَلْبُهُ قَطْبُ الْمَدَارِ

وهو لو أدركَ معنى
 جازَ أطباقَ الثُّريا
 إنَّه في صَدْرِهِ
 وهو إذ أطلقَهُ لم
 فَعَلَا صَوْتُ أذَانِ
 يا لها صرْخَةٌ وعِظٌ

سَهْرِ اللَّيْلِ وَذاقَهُ
 وَأَرَى اللّهُ طَباقَهُ
 يَسْتُرُ نوراَ باهرا
 يَبْقَى نَجْمًا ساهرا
 بَيْنَما هُمْ في جِدالِ
 صَدَّعتُ قَلبَ الجِبالِ!

شكوى الشيطان

قال إبليسُ الرَّجِيمُ يشتكي اللهَ تعالى:
ما لِنَجْلِ الطَّيْنِ هذا فوقَ ناري يتعالى؟
هُوَ ذَا آدَمَ بعدي هُوَ ذَا كَوْمِ التُّرَابِ
واهْنُ الرُّوحِ كَبِيرُ الـ كِرْشِ مَوْفُورِ الثِّيَابِ
عقله في الأوجِ لكنْ قلبه يَلْفِظُ رَوْحَه
ما لقلبي غيركَ اللّهُمَّ لو تأسو جروحه
كلّما يجعلُ منه الشَّـرُّ رِقْ مَعْيَارِ النِّجَاسَه
لا تبالي حكماءُ الـ غَرِبِ أَنْ ترفعَ راسَه
حورُ فردوسِكَ تخشى عالمُ الفِرْدَوْسِ يُقْفِرُ
جنتك اللهمَّ بالحجّـة كي ترضى وتغفرُ
فسّرَ الغرْبُ الدِّيموقرا طيُّ تَرْكِي لِسُجُودِي
لم يعدْ من بعدهِ في الأ رَضِ مَعْنَى لَوْجُودِي

النَّسْرُ وَالنَّمْلَةُ

قالت النملة للنسر الذي
أنت ترعى في بساتين النجوم
قال: لكن أنا لا أبحث عن
لست ألقى نظرة حتى ولا
مرّ يوماً ما على وادي النمل:
وأنا في شقوة العيش المذل
مؤني مثلك في هذا التراب
للسموات التي فوق السحاب

من ديوان والآن... ماذا نصنع؟ يا أمم الشرق

نقله إلى العربية
.....
الأستاذ أحمد الغاندي

وصاغه بالعربية شعراً
.....
الشيخ صاوي شعلان المصري

إلى الأمة العربية

شعب العروبة والمجد الموثل في
من الذي حرّر الدنيا لخالقها
من قبلكم أبلغ الآيات ناطقةً
من غيركم رفع المصباح مؤتلقاً
لم يطعم الناس إلا في موائدكم
في شأنكم أرسل الله الكتاب
من حول البيد روضاً والحصى دُرّاً
أستغفر الله ما غير النبي بها
فكل معبود قديم في الشعوب هوى
وكل غصن هشيم من نداه غدا
واهاً لها جذبات طالما حفزت
قد أبدلتنا الليالي من سعادتها

بدو وفي حصر حتى ضحى المحشر
وأسمع الخلق لا كسرى ولا قيصر؟
بوحى من خلق الدنيا وسواها؟
ووحّد الخلق لِمَا وَحَدَ اللهُ؟
علماً شهياً وتهذيباً وعرفانا
فأصبحتم بنعمته في الخير إخوانا
وأنبت الوزد في الصّحراء للعرب؟
أغنت مكارمه فيها عن السُّحبِ
بعزمه ساجداً لله إكبارا
يُجددُ الحُسنَ أوراقاً ونوّارا
منا الخطأ وأثارت للعلا همما
يأساً مريراً ومن أنوارها ظلماً

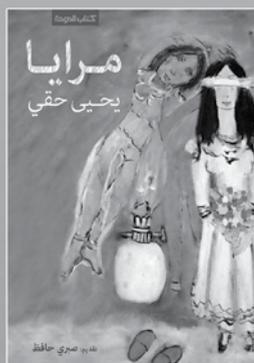
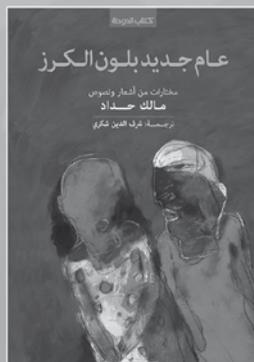
حِصْنَ الرِّخَاءِ وَصَارَتْ لِلْمُنَى قَدَمَا
 وَثُورَةٌ وَكَنْوَزٌ تُغْدِقُ النِّعْمَا
 وَكَانَ بِالْأَمْسِ مِثْلَ الْعَقْدِ مُنْتَظَمَا
 مَا بِأَلْهَا انْقَسَمَتْ فِي أَرْضِكُمْ أُمَّمَا؟
 سُمُّ الْعَقَارِبِ فِي أَكْمَامِهَا اسْتَرَا
 كَمْ أَيْقَظُوا فِتْنًا، كَمْ أَفْسَدُوا فِطْرًا!
 مَدَى عَصُورٍ وَأَجْيَالٍ وَأَزْمَانِ
 إِلَى شُعُوبٍ وَأَقْوَامٍ وَأَوْطَانِ
 تَقِفْ بِهَا عِنْدَ رَسْمِ الدَّارِ وَالِدِمَنِ
 رِيحِ الصَّحَارِيِّ وَأَنْقِذْ وَحْدَةَ الْوَطَنِ
 دُنْيَا يَفُوزُ بِهَا مَنْ أَحْكَمَ النَّظْرَا
 إِنْ شِئْتَ لِلْأَرْضِ عُمْرَانًا فَكُنْ عُمْرَا

كُلُّ الشُّعُوبِ أَعَدَّتْ مَنْ مَوَارِدَهَا
 وَمَلَأَ صَحْرَائِكُمْ - لَوْ تَعْلَمُونَ - غَنَى
 كَيْفَ انْقَضَى حَفْلُكُمْ وَانْفَضَّ سَامِرُكُمْ
 تَوَحَّدَتْ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ أُمَّتُكُمْ
 قَدْ خَادَعَتْكُمْ مِنَ الْمُسْتَعْمِرِينَ يَدُ
 كَمْ أَهْدَرُوا مِنْ شُعُوبٍ آدَمِيَّتَهَا!
 تَوَارَثَ الْعَرَبُ الْأَحْرَارُ وَخَدَّتْهُمْ
 حَتَّى إِذَا جَاءَ الْاسْتِعْمَارُ قَسَمَهَا
 أَضْرِبْ خِيَامَكَ فِي دُنْيَا وَجُودِكَ لَا
 وَادْفَعْ بِنَاقَتِكَ الْمِيدَانَ أَسْبَقْ مَنْ
 يَا أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ انظُرْ لِعَصْرِكَ فِي
 بِالسَّلْمِ بِالْعَدْلِ تَبْنِي مَا تُؤَمِّلُهُ

صدر في سلسلة كتاب الدوحة

1	طبائع الاستبداد	عبد الرحمن الكواكبي
2	برقوق نيسان	غسان كنفاني
3	الأمة الأربعة	سليمان فياض
4	الفصول الأربعة	عمر فاخوري
5	الإسلام وأصول الحكم - بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام	علي عبدالرازق
6	شروط النهضة	مالك بن نبي
7	صلاح جاهين - أمير شعراء العامية	محمد بغدادي
8	نداء الحياة - مختارات شعرية - الخيال الشعري عند العرب	أبو القاسم الشابي
9	حرية الفكر وأبطالها في التاريخ	سلامة موسى
10	الغربال	ميخائيل نعيمة
11	الإسلام بين العلم والمدنية	الشيخ محمد عبده
12	أصوات الشاعر المترجم - مختارات من قصائده وترجماته	بدر شاكر السياب
	• فنتة الحكاية جون أيديك - سينيا أوزيك - جيل ماكوركل - باتريشيا هامبل	ترجمة: غادة حلواني
13	امرأتنا في الشريعة والمجتمع	الطاهر الحداد
14	الشيخان	طه حسين
15	ورد أكثر - مختارات شعرية ونثرية	محمود درويش
16	يوميات نائب في الأرياف	توفيق الحكيم
17	عبقرية عمر	عباس محمود العقاد
18	عبقرية الصديق	عباس محمود العقاد
19	رحلتان إلى اليابان	علي أحمد الجرجاوي/صبري حافظ
20	لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر أو (الغاية في البداية والنهاية)	ميخائيل الصقال
21	ثورة الأدب	د. محمد حسين هيكل
22	في مديح الحدود	ريجيس دوبريه
23	الكتابات السياسية	الإمام محمد عبده
24	نحو فكر مغاير	عبد الكبير الخطيبي
25	تاريخ علم الأدب	روحي الخالدي
26	عبقرية خالد	عباس محمود العقاد
27	أصوات الضمير	خمسون قصيدة من الشعر العالمي
28	مرايا يحيى حقي	يحيى حقي
29	عبقرية محمد	عباس محمود العقاد
30	عبدالله العروى من التاريخ إلى الحب	حوار أجراه محمد الداوي
31	فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية	
32	عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حداد)	ترجمة: شرف الدين شكري
33	سراج الرعاة (حوارات مع كتاب عالميين)	خالد النجار
34	مقالة في العبودية المختارة (إيتيان دي لابويسيه)	ترجمة: مصطفى صفوان
35	عن سريّ ابن بطوطة وابن خلدون	د.بنسالم حمّيش
36	حي بن يقظان - تحقيق: أحمد أمين	ابن طفيل
37	الإصع الصغيرة - ترجمة: د.عبدالرحمن بوعلي	ميشال سار

صدر في سلسلة كتاب الدوحة



يمكنكم تصفح النسخة الإلكترونية من كافة إصدارات السلسلة
على موقع مجلة الدوحة الإلكتروني www.aldohamagazine.com

نم اءاوء الررفء بواسءة

مكئبة عملك

ask2pdf.blogspot.com